الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم الفلسفة

الموضوع :

منزلة العقل عند أبي حامد الغزالي

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر في الفلسفة

إعداد :

- سهيلة ربيعي

إشراف الدكتور:

- عبد المجيد مسالتي

السنة الجامعية: 2018/2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمْ

﴿قُلْ اِعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

صَدَقَ اللهُ العَظِيمْ

«إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك.. ولا يطيب النهار إلا بطاعتك..ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك..ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك..ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك»

فلك الحمد حتى ترضى. ولك الحمد إذا رضيت.. ولك الحمد بعد الرضى

أتقدم بجزيل الشكر والامتنان وخالص التقدير والعرفان إلى أستاذي المشرف الدكتور عبد المجيد مسالتي الذي تشرفت وحظيت بقبوله الإشراف على هذه المذكرة وعلى دعمه وتوجيهاته القيمة، فجزاه الله خير الجزاء ووفقه وأدام عليه الصحة والعافية فكان نعم المشرف.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى كل أساتذة قسم الفلسفة بجامعة المسيلة، وإلى كل من ساعدني ووجهني من قريب أو من بعيد.

إهـــــداء

أهدي هذا العمل المتواضع

إلى روحك الطاهرة

يا من أحمل اسمك بكل فخر...يا من أفتقدك...طول العمر

يا من يرتعش قلبي لذكرك

يا من أودعتني لله

رحمك الله والدي وأسكنك فسيح جناته

إلى حكمتي...وعلمي...إلى أدبي....وحلمي

إلى طريقي...وهداي...إلى حبي....ومناي.

إلى ينبوع الصبر والتفاؤل والأمل....إلى كل من في الوجود بعد الله ورسوله

أمي الغالية

إلى سندي وقوتي وملاذي بعد الله...إلى من آثروني على أنفسهم

إلى من أظهروا لي ما هو أجمل من الحياة

إخوتي وأخواتي

إلى من كانوا ملاذي وملجئي...إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات

صديقاتي

إلى من جعلهم الله إخوتي ومن أحببتهم فيه

زملائي

حفظكم الله جميعا.

مقدمة

مقدمة:

إن الله ـ ﷻ ـ قد خلق الإنسان وصوره فأحسن تصويره وفضله على كثير ممن خلق فقال الله ﷻ في محكم تنزيله:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾سورة الإسراء– الآية7 ومن تفضيله أن هيأ للإنسان سبل اعمار الأرض فسخر له ما في السموات والأرض فقال ﷻ : ﴿وَسَخَرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَرُون ﴾ سورة الجاثية– الآية13. هذا والسبب في ذلك كله هو أن الله خص الإنسان بالعقل الذي تميز به عن سائر المخلوقات. هذا العقل ليفكر الإنسان به ويتبين سبل الحق والهدى، ورغم وضوح هذه الحقيقة ـ أي حقيقة أن العقل وسيلة التفكر وسبب التكليف ـ من شرع الله ثم من واقع الإنسان وحقيقته، إلا أن المفكرين قد اختلفوا حولها.

فاحتلت قضية العقل مكانا بارزا ومحوريا في الفكر الإنساني عامة، والفكر الفلسفي خاصة، فعلى المستوى الأول فقد انشغل الإنسان منذ نشأته بالتفكر وبالتساؤل عن هويته وسبب وجوده وغايته. أما عن الصعيد الفلسفي فلا يكاد يخلو بحث من موضوع العقل، باعتباره أداة التفكير والعلم ووسيلة المعرفة. والفلسفة الإسلامية شأنها شأن الفلسفات الأخرى اهتمت بمباحث العقل اهتماما كبيرا، وعالجت مدى ارتباطه وتأثيره في الجوانب الفكرية والدينية والسياسية والاجتماعية،

حيث برز العديد من الفلاسفة المسلمين الذين تطرقوا لهذه القضية بالدراسة والتحليل والمناقشة، ومن بينهم حجة الإسلام أبو حامد الغزالي[1] الذي يعتبر من أعلام العرب والإسلام والفكر الإنساني، تحدثت عنه المصادر على مختلف مشارب أصحابها في العلوم والمعارف الإسلامية من تصوف، وأصول، وعلم كلام، وفلسفة، ومنطق، وأخلاق...وغيرها.

"فأبو حامد الغزالي" من العلماء الأفذاذ الذين كتبوا في الفكر الإسلامي والفلسفة بطريقة احتار فيها معاصروه، واستوقفت الذين من بعده، ولا تزال تعد من المرتكزات الأصيلة لعلماء الغرب والشرق، خاصة فيما يتعلق بقضايا الشك المنهجي والإلهام والعقل، إذ نجد أن "الغزالي" يولي هذا الأخير ـ أي العقل ـ أهمية كبيرة ومكانة مشرفة في فكره، وهذا ما يظهر في مختلف كتاباته، حيث ارتقى بالفكر إلى أعلى عليين وهو ما جعله يظهر في سماء الفكر عامة، والفكر الفلسفي خاصة. لذلك اخترت موضوع دراستي حول منزلة العقل عند "أبو حامد الغزالي"

1- هو أبو أحمد محمد بن أحمد الغزالي الطوسي، حجة الإسلام وزين الدين ولد في طوس (450هـ- 1058م)، درس في نيسابور، وأبدع في جميع العلوم. فعرف بأنه فيلسوف ومتكلم، وفقيه ومتصوف.

تتلمذ على يد الفقيه والمتكلم المشهور الجويني (إمام الحرمين) خاصة في علوم المنطق والجدل، ومعرفة مناهج الفلاسفة والرد عليهم، مما مكنه أن يغشل كرسيا للتدريس لدى نظام الملك في مدرسته ببغداد، وقد تعرض لنكبات في حياته كانت سببا رئيسيا في هجره لكرسي التدريس والانصراف إلى حياة العزلة والزهد. وهذا ما أورده في رسالته "المنقذ من الضلال" التي بين فيها تصوفه وتعطشه إلى المعرفة .

وبعد رحلات قام بها الغزالي مابين طوس – بغداد – الحج (مكة) – دمشق، عاد إلى مسقط رأسه، وأقام مدرسة للفقهاء والصوفية. توفي بحضرة أخيه في 14 جمادي الآخرة سنة (505هـ – 1111م). أنظر : عبد الرحمان بدوي: الموسوعة الفلسفية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1984، ج1، ص.ص.8. 81. ومحمد أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1976، ص355.

تتمحور إشكالية بحثي حول استخدام الغزالي للعقل في فلسفته كأداة للوصول إلى المعرفة اليقينية وحقيقتها. فإذا كان العقل مقترنا بوجود الإنسان وهو مناط تكليفه، والإنسان لا يمكنه التفكير والفهم والإدراك إلا بإعمال العقل، والمعرفة بدورها لا تتأتى إلا بالتفكير، والتفكير لا يكون إلا من خلال العقل. وعليه فما هي مكانته في فكر الغزالي ؟

وقد تفرع عن هذه الإشكالية بعض المشكلات والمتمثلة في: ما موقف الغزالي من العقل أداة وعلما؟ وما هو مفهومه لديه؟ وما هي أقسامه وأنواعه؟ كيف نظر الغزالي للعقل؟ وما موقف الغزالي من الفلسفة وعلم الكلام بحكم أنهما من المجالات التي تعتمد بشكل مباشر على العقل؟

ولحل هذه الإشكالية قسمت بحثي إلى مقدمة، وفصلين، وخاتمة.

ففي المقدمة: أدرجت تمهيدا حول الموضوع، وبينت خطة البحث، والإشكالية المطروحة، والمنهج المتبع في الدراسة، ودوافع اختيار هذا الموضوع بالإضافة إلى الصعوبات التي واجهتني.

وقد تناولت في الفصل الأول: الغزالي والعقل وقسمته إلى أربعة مباحث، المبحث الأول ذكرت فيه مفهوم العقل ومعانيه في فكر الغزالي واستهليت المبحث بالتعريف اللغوي والاصطلاحي للعقل، أما المبحث الثاني: فتطرقت فيه إلى طبيعة المعرفة العقلية، وفي المبحث الثالث: فقد عالجت خصائص العقل وأحكامه، أما الرابع فقد تضمن أقسام العقل وأنواع العقول.

أما الفصل الثاني فقد خصصته للحديث عن العقل والفلسفة والدين لدى الغزالي وتضمن أربع مباحث: المبحث الأول تطرقت فيه لتمجيد الغزالي للعقل وأتباعه ورفضه للتقليد. والمبحث الثاني: كان بعنوان دور العقل في إحراز العلوم، أما الثالث فتناولت فيه علاقة العقل بالتفكير والتفلسف، و في المبحث الأخير عالجت فيه أهمية العقل في فهم مقاصد الشريعة.

أما في الخاتمة: فقد أبرزت فيها أهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة.

والمنهج الذي اعتمدت عليه في دراستي هذه هو المنهج التحليلي حيث حاولت تحليل أفكار وآراء ومواقف الغزالي في الموضوع.

كما اعتمدت على مجموعة من المصادر والتي ساعدتني كثيرا في إنجاز هذا البحث أهمها:

ـ "إحياء علوم الدين" ـ "ميزان العمل" ـ "المنقذ من الضلال" ـ "المستصفى في علم الأصول" ـ "مشكاة الأنوار".

واستعنت بعدة مراجع من بينها: "الحقيقة في نظر الغزالي لسليمان دنيا"ـ و"كتاب الإمام الغزالي لصالح أحمد الشامي".

أما دوافع اختياري للموضوع فقد كانت فرصة لي من أجل دراسة جانب من جوانب القرآن ومقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية. بالإضافة إلى التعرف على شخصية هذه القامة الفذّة من قامات العلم والموسوعة الفكرية والملقب "بحجة الإسلام"ـ رحمه الله ـ .كما أنه قد تسرب إلى وجدان بعض المشتغلين بالفكر الفلسفي في عالمنا العربي أن "الغزالي" عدو لدود للفلسفة وهادم العقل، وتحميله مسؤولية

تراجع أو خمول الفكر العربي الإسلامي، وكبح التطور، إلا أنه سيتضح من خلال عرضي للبحث خلاف هذا الزعم.

ولقد واجهت صعوبة في حصر أفكار وآراء "الغزالي" المتشعبة والتي يدور مضمونها حول نفس الموضوع، وكذا صعوبة تحليلها، بالإضافة إلى غزارة المصادر والمراجع التي صعبت عليا عملية الانتقاء وطول القراءة والتحليل.

الفصل الأول :

الغزالي والعقل.

المبحث الأول:

مفهوم العقل ومعانيه في فكر الغزالي.

المبحث الثاني:

طبيعة المعرفة العقلية في نظر الغزالي.

المبحث الثالث:

خصائص العقل وأحكامه عند الغزالي.

المبحث الرابع:

أقسام العقل وأنواع العقول لدى الغزالي.

المبحث الأول: مفهوم العقل ومعانيه في فكر الغزالي:

لقد أمرنا الله تعالى بالتفكر والتدبر في الوجود، وفي مخلوقاته وذلك في مواضع لا تحصى في كتابه العزيز وأثنى على المتفكرين فقال تعالى:﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا عَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾[1].

والتفكر لا يكون إلا بالعقل الذي هو مناط التكليف ومن أعظم النعم، وقد أمن الله به على الإنسان، لكي يميز به بين النافع والضار، ويدرك به التكاليف الشرعية، ويتدبر به الآيات القرآنية، ويفهم به الأحاديث النبوية، ويجتهد به في أموره الدنيوية، فهو واسطة لا غنى للإنسان عنها في إدراك أمور دينه ودنياه. فيا ترى ما هو مفهوم العقل لدى الغزالي؟

والعقل في اللغة هو الربط، والحجر والنهي والتقيد والمنع، إذ يقال: "علقت الناقة" إذ منعتها عن السير، وقد أطلق على إحدى قوى النفس البشرية تشبيها لها بعقل الناقة، أي قيدها، لأنها تمنع صاحبها من العدول عن سواء السبيل، كما يمنع العقال الناقة عن الشرود[2].

ولهذا يقال في اللغة العربية أن العقل يمنع صاحبه من الوقوع في القبيح، وهو من قولك عقل البعير، إذ شده ومنعه من أن يثور، ويقال أن العقل يفيد معنى الحصر

1_ سورة آل عمران، الآية 191.

2 _ جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان،(د- ط)، 1972، ج2، ص84.

والحبس، فيقال للمخاطب، اعقل مايقال لك. بمعنى أحصر معرفته ليلا يذهب عنك[1].

كما يورد" ابن منظور" تعريفه للعقل في معجمه "لسان العرب" بقوله:« والعقل: التثبت في الأمور... ويسمى العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، أي يحبسه وقيل: العقل هو التمييز الذي يتميز به الإنسان عن سائر الحيوان، ويقال لفلان قلب العقول، فهم، وعقل الشيء بعقله عقلا أي فهما »[2].

أما معنى العقل في اصطلاح الفلاسفة فهو اسم مشترك تطلقه الجماهير والفلاسفة والمتكلمون على وجوه مختلفة لمعان متعددة منها:

ـ العقل هو الملكة التي تمكننا من التمييز بين الخير والشر، والصواب والخطأ[3]. فالعقل بهذا عبارة عن قوة أودعها الله تعالى في نفوسنا، تمكننا من إدراك الخير والشر والصواب والخطأ، لنتمكن فيما بعد من اتباع الطريق الذي نريد عن وعي وإدراك. غير أن الفلاسفة والمفكرين لم يتفقوا على مفهوم واحد للعقل بل اختلفوا في ذلك اختلافات شتى. حتى أن بعضهم قد ألف رسائل بأكملها لتحديد مفهوم العقل كرسائل "الكندي"، "الفرابي"، "المحاسبي".

1 ــ إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة،(د ـ ط)، 1983،ص423.

2 ــ ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (دـ ط)، (د ـ ت)، ص ص30ـ46 .

3 ــ اندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001، ص687.

فقد صنف الفرابي رسالته المشهورة في العقل، معاني العقل إلى ثلاثة أصناف:[1]

ـ **المعنى الأول: خاص بالجمهور:** فهم يقصدون بالعاقل من كان فاضلا، وجيد الرؤية في استنباط ماينبغي أن يؤثر من خير أو أن يتجنب من شر.

ـ المعنى الثاني: في اصطلاح المتكلمين: ويعنون به المشهور في بادئ رأي الجميع[2].

ـ المعنى الثالث: في اصطلاح المعلم الأول أرسطوطاليس: الذي أورده في كتاب "البرهان" وفي المقالة السادسة من كتاب "الأخلاق" وكتاب "النفس ما بعد الطبيعة" وذلك بمعان مختلفة أحيانا ومشتبهة أحيانا أخرى[3].

ـ العقل أداة الإدراك والفهم، والنظر والتلقي، والتمييز والموازنة، وهو وسيلة الإنسان لإدراك مسؤولية الوجود والفعل، في عالم الشهادة و الحياة[4]، فالعقل نور روحاني أودعه الله تعالى في الإنسان، و هو آلة التفكير التي يتم بها التمييز بين الحق و الباطل.

ويعد العقل من أهم المصادر المعرفية عند مختلف الفلاسفة والمفكرين، ومن بينهم "أبو حامد الغزالي" الذي يقول: « والعقل منبع العلم وأساسه، والعلم يجري منه

---

1 ـ أبو نصر الفرابي: رسالة في معاني العقل، تح: الأب موريس بونج، دار الشرق، بيروت، (د- ط)، 1983، ص ص،4،5.

2 ـ المرجع نفسه: ص 8.

3 ـ المرجع نفسه: ص10.

4- عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، الدار العالمية للكتاب الإسلامي،الرياض، السعودية، ط2، 1992، ص119.

مجرى الثّمرة من الشجرة، والنور من الشمس، والرؤية من العين، فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة »[1].

فقد اعتبر "الغزالي" أن العقل هو مصدر العلم والمعرفة، وأنه الأساس الذي يحصل به العلم، فالعلم من العقل بمثابة الثمار من الشجرة، وشعاع الشمس الذي يستفيد به الناس.

ويؤكد "الغزالي" أيضا على أن العقل أساس السعادة، لأن من أراد الدنيا والآخرة عليه بالعلم، والعلم لا يكون إلا بالعقل.

كما اعتبر "الغزالي" أن العقل نور يهتدي به العقلاء حيث يقول: « فالعقل هو نور محض قائم بنفسه يدرك الأشياء على حقائقها ويدرك نتائجها وهو العقل والنفس، وهذه الأمور منقسمة إلى ما يدرك نتائجها وهو العقل والنفس، وهذه الأمور منقسمة إلى ما يدرك به وما يدرك نفسه وهو العقل ـ وهو نور حقيقي»[2]. وهذا معناه أن العقل هو جوهر قائم بذاته؛ أي لا يحتاج إلى غيره كما أنه مطلع على حقائق الأشياء من حوله فهو مدرك لذاته بذاته، لذلك اعتبره "الغزالي" نورا حقيقيا يهدي صاحبه إلى الصواب، ويضيء له الطريق في بحثه عن الحقيقة.

وقد قدم "الغزالي" للعقل مفاهيم وتعريفات عدّة:« الأول: الوصف الذي يفرق به الإنسان عن سائر البهائم، وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية»[3].

1- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، مكتبة ومطبعة كرياطة فوترا، القاهرة، (د- ط)، (د- ت)، ج1، ص82.

2- أبو حامد الغزالي، مجموعة الرسائل، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط1، (د- ت)، ص83.

3- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، ص84.

ففي هذه الحقيقة التي جاء بها "الغزالي"، اعتراف بأن العقل هو الذي يميز الإنسان عن غيره من الكائنات الحية؛ أي أن العقل هو الملكة التي تعطي الإنسان إنسانيته وتخرجه من دائرة الحيوان، كما أن هذه الملكة الإنسانية هي الاستعداد الذي يهيأ به الإنسان لتلقي العلوم والمعارف والعمل بها بوعي تام، فالتفكير الجيد والتخطيط في الأمور عن طريق العقل قبل الإقدام عليها يبعد عنا العناء والتعب والجهد الزائد، ويوفر الاقتصاد في الوقت، لذلك فالعقل حسب "الغزالي" هو آلة فكرية إنسانية تساعد الإنسان على القيام بأعماله على أكمل وجه.

أما التعريف الثاني للعقل فيتمثل في قوله:« الثاني: هو العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات »[1]. وهذا معناه أن العقل هو جملة العلوم، أي المعارف التي يحتويها الإنسان في مرحلة من عمره والتي تخرج الطفل إلى الوجود؛ أي أنها كانت كامنة في الطفل قبل خروجها إلى الوجود على شكل استعداد فطري، مما يجعل الطفل يدرك الأشياء من حوله، ويميز بين ما هو جائز وممكن وما هو مستحيل لا يمكن تحقيقه على أرض الواقع.

وفي التعريف الثالث للعقل اعتبر "الغزالي" أنه نتاج التجربة التي مر بها الإنسان في حياته وفي ذلك يقول:« ثالثا: هو العلوم التي تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال فإن من حنّكته التجارب و هذبته المذاهب يقال إنه عاقل في العادة »[2]. وهذا يعني أن العقل في نظر "الغزالي" هو العلوم والمهارات والمعارف

1- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج1 ، ص85.

2- المصدر نفسه، ص85.

والمكتسبات التي يلم بها الإنسان خلال تجارب حياته التي يمر بها، فالعقل لا يولد مع الإنسان كاملا لحظة ميلاده، بل العقل تساعده التجربة العملية لا الحسية.

كما يعتبر "الغزالي" أن العقل غريزة يتحكم بها الإنسان في أموره ويوجهها إلى الصواب إذ يقول في هذا الشأن: « أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللّذة العاجلة ويقهرها، فإذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا »[1]. ويعني ذلك أن العقل غريزة يعرف بها الإنسان مصيره جراء أي عمل يقوم به، ولهذا فالعقل يوجه سلوك الإنسان، حيث يضبط شهوته التي تكون سببا في شقائه إن لم يسيطر عليها ويقيد حريتها بالعقل؛ أي أن العقل هو قوة الغريزة التي تدرك عواقب الأمور وتضبط الشهوة وفق ما يسعد الإنسان.

ويمكن أن نجمع بين هذه المفاهيم التي ذكرها "الغزالي" فنقول أن العقل هو ملكة إنسانية تتكون من أربعة أمور، أولها قوة الغريزة التي تعتمد على منبع العلوم وأصلها وهي الدّافع لخروج هذه العلوم، والأمر الثاني هو العلوم الضرورية؛ أي المبادئ التي يسلم العقل بصحتها ولا يشك فيها، والأمر الثالث هو العلوم التجريبية وهي العلوم التي يستنتجها الإنسان من التجارب التي يعيشها، ورابع هذه الأمور التي تحدث عنها "الغزالي" في معنى العقل، هي النتيجة المستخلصة من كل ما سبق؛ أي الثمرة التي تنتج من قوة الغريزة والعلوم الضرورية والعلوم التجريبية فيتشكل العقل وفق هذه الأمور.

1- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج1 ص 85.

إن من طبيعة الفكر البشري التسلسل والتتابع والاستمرار إلا أن هناك اختلاف بين المفكرين والفلاسفة حول مسألة طبيعة المعرفة، وخاصة المعرفة العقلية، ومن بين أهم الفلاسفة والمفكرين الذين تطرقوا إليها في فكرهم "حجة الإسلام أبي حامد الغزالي". فكيف كان موقف "الغزالي" من الفكر الفلسفي خاصة فيما يتعلق بطبيعة المعرفة العقلية؟ أو ما طبيعة المعرفة العقلية في نظر "الغزالي"؟

المبحث الثاني: طبيعة المعرفة العقلية في نظر الغزالي:

إن الحديث عن طبيعة المعرفة العقلية عند "الغزالي"، يجعلنا نركز على موقفه من المعرفة، وعليه فإن القارئ والملاحظ لكتاباته يجد أنها تشتمل بشكل كبير على أفكار عقلية، وهذا ما يبرر بشكل أو بآخر تقبل "الغزالي" للمعارف العقلية، كما أن "الغزالي" أكد على تمجيده للعقل وتشريفه على سائر المخلوقات حيث يقول في هذا الصدد: « الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم، وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية»[1]. يبرز هذا النص مدى ضرورة المعرفة العقلية في فكره.

فالمعرفة العقلية لا تكون إلاّ بالعقل، لذا يعتبر"الغزالي" أن العلوم والمعارف العقلية أولية في العقل أي ضرورية، فالأوائل العقلية تشكل عند "الغزالي" أساسا للمعارف جميعا[2]، حيث نجده يقول:« بل العلوم الضرورية من خواص العقل »[3].

1- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج1، ص84.

2_ أنور الزعبي: مسألة المعرفة ومنهج البحث عند الغزالي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2000، ص128.

3- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين،مكتبة ومطبعة كرياطة فوترا، القاهرة، (د_ ط)، (د_ت)،ج3، ص882.

وهنا يؤكد "الغزالي" على ما ذكرناه سابقا وهو أن المعارف العقلية معارف تتسم بالكلية وأنها معارف ضرورية حيث يقول:« ضرورية لا يدرى من أين حصلت وكيف حصلت كعلم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين، والشيء الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا معدوما معا»[1]. أي أن المعارف العقلية فطرية في عقل الإنسان ومتأصلة فيه، فهي تفرض نفسها على العقل، فيسلم العقل بصحتها ويقر بها ويؤيدها، لأنها لا تحتاج إلى برهان لإثبات صحتها، وهذا دليل واضح على قدرة العقل وأهميته في المعرفة.

لكن يعتبر"الغزالي" بأن المعارف العقلية هي معارف جاهزة وكامنة في العقل إذ يقول:« فإن هذه العلوم يجد الإنسان نفسه منذ الصبا مفطورا عليها ولا يدري متى حصل له هذا العلم ولا من أين حصل له »[2].

أي أن هذه المعرفة فطرية موجودة مسبقا في العقل وتخرج بوجود سبب يكون هو الفاعل في إخراجها للوجود، يقول "الغزالي" في هذا الشأن: « وهذه العلوم كأنها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة، ولكن تظهر في الوجود إذا جرى

1- المصدر نفسه، ص 15 .

2- المصدر نفسه، ص 15.

سبب يخرجها إلى الوجود، حتى كأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة فظهرت»[1].

فالعلوم العقلية_ حسب"الغزالي"_ هي علوم توجد مع وجود الإنسان وبالضبط مع امتلاكه لغريزة العقل. فهي _ أي العلوم العقلية _ موجودة بالفطرة كعلوم ضرورية، إلا أنها مبطنة في العقل. ولكي تخرج هذه العلوم إلى الواقع لابد من وجود سبب يخرجها، ولعل من بين هذه الأسباب هو تنبه عقل الإنسان للمؤثرات الخارجية من حوله مثل: استحالة وجود الشيء وعدمه في آن واحد، أو أن يخلق الشيء من العدم، وأن القضية يمكن أن تكون إما سالبة أو موجبة ولا ثالث لها. وهذه الأسباب يتنبه لها العقل لتدخل في المعقولات حتى تثير أفكار وقضايا عقلية موجودة في العقل ومتضمنة فيه.

إن هناك أفكار في ذهن الإنسان تملك وجودا مستقلا وضروريا داخل الوعي، بمعنى أنها تفرض نفسها على الوعي من داخل الوعي، وليس من خارجه وهي ليست من الأنا المفكرة، فهو يجد مثلا فكرة الله داخل الوعي، لكن هذه الفكرة لم تكن نتيجة للتّفكير، وإنما وجودها كان ضروريا ومفروضا على الوعي من داخله[2]. بمعنى أن هذه الماهيات أوالأفكار لم تنتج عن التفكير العقلي، إنما وجودها بالوعي كان فطريا[3]. كما يرى "الغزالي" أن العلوم العقلية يمكن اكتسابها بالتعلم

1- أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ص 108.

2- صبحي ريان، فلسفة التربية الإسلامية، الغزالي نموذجا، دار الكتب العلمية، ط1، 2017، ص77.

3- المرجع نفسه، ص78.

والاستدلال، ويقول في هذا الصدد: « علوم مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال»[1]. ومعنى هذا أن المعرفة عند الغزالي أيضا مستقاة عن طريق التعلم.

إن طبيعة المعارف العقلية تعود إلى الكشف عن حقيقة العقل، ولقد أرجع "الغزالي" حقيقة العقل إلى القلب حيث يقول: « أنه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور، فيكون عبارة عن صفة العالم الذي محله القلب، والثاني أنه يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب»[2].

وبالتالي فطبيعة العقل والمعرفة العقلية عند "الغزالي" لا تخرج عن أمرين:

ـ **الأول:** إما أن يكون العقل هو العلم بحقائق الأمور، أي المعرفة الكاملة والشاملة والضرورية بالشيء وإدراك ظواهر الأشياء وبواطنها، وهنا يكون العقل هو الصفة التي نعبر بها عن العلوم العقلية والتي محلها القلب. ومعنى ذلك أن صفة التعقل تتعلق بالقلب فيصبح القلب هو الذي يعقل حقائق الأمور؛ أي أن المعرفة العقلية في هذه الحالة هي انتقال الفكر من المبادئ إلى المطالب عن طريق عملية التعقل التي يقوم بها القلب، فيطلق على صفة التعقل أوالعلوم التي قام بها العقل مصطلح العقل، لذلك يمكن القول أن طبيعة المعرفة العقلية عند "الغزالي" أنها معرفة قلبية ذات خصائص عقلية.

ـ **والثاني:** أو أن العقل هو أداة تحصيل المعارف وقد نسبت هذه المعارف إلى العقل فسميت عقلية، وهنا لا يكون العقل هو العلم بل هو المحصل للعلم وبالتالي يكون العقل هو القلب وليس متواجد فيه. ومعناه أن المعرفة العقلية مصدرها

1- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص15.

2- المصدر نفسه، ص879.

العقل، الذي هو نفسه القلب لأن العقل في هذه الحالة يعتبر جوهرا وليس عرضا أو صفة كما في الرأي الأول، لهذا يمكن اعتبار أن المعرفة التي نتوصل لها عن طريق العقل أنها ذات طبيعة عقلية محضة وهي من مراتب التفكير.

فالمعرفة العقلية هي علوم نابعة من القلب ويطلق عليها مصطلح العقل أو التعقل لقوله ﷻ في محكم تنزيله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1].

أعطى "الغزالي" للعقل مكانة كبيرة في فلسفته بصفة عامة، واعتبره قضية مركزية في المعرفة، فهو العلم بحقائق الأمور والمدرك للمعرفة وظواهر الأشياء وبواطنها، وهو أداة تحصيل المعارف. لكنه عارض فيما بعد أفكاره حيث أقر بمحدودية العقل ولانهائية المعرفة، وأكد على عجز العقل وقصوره عند إدراك المعارف الميتافيزيقية.

إن دور العقل في منظومته المعرفية هو الوصول إلى الحقيقة، فالعقل أداة معرفية تسعى لتحقيق هذه المهمة، لكن اختلاف الحقائق بين عالم الملك والشهادة (أي العالم الطبيعي)[2]وعالم الملكوت(أي العالم الغيبي الورائي)[3]، يجعل مفهوم العقل مختلفا من عالم لآخر،

---

1 – سورة الحج، الآية 46 .

2 – **عالم الملك والشهادة**: فيه ينبعث العلم من القلب فيحرك الإرادة ، ثم تولد القدرة على الحركة.

3– **أما عالم الملكوت**: فإن إرادة الله هي من علمه تحرك قدرته، وقدرته تحرك يمينه، ويمينه تحرك قلمه، فيحفظ هذا القلم الإلهي في قلب الإنسان علما إرادته. أنظر: أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، مطبعة كرياطة فوترا، القاهرة، (د– ط)، (د– ت)،ج4،ص ص 244–245.

مثلا يمكن للعقل أن يدرك حقائق هذا العالم، لكنه يعجز عن إدراك حقائق القضايا الميتافيزيقية[1]. يحاول "الغزالي" أن يثبت بأن العقل جزء من المعرفة، ولا يمكنه الإحاطة به أو الادعاء أنه مصدرها الوحيد، بمعنى أن العقل محدود في عالم متناه، بينما المعرفة غير محدودة ومترابطة باللاّمتناهي، وهي إرادة الله[2].

قال الله ﷻ في كتابه العزيز:﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3]. وقال ﷻ:﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[4].فقد اختص الله الإنسان، هذا الكائن الذي كرمه بأن جعل الملائكة المكرمون يسجدون له جميعا فقال الله ﷻ :﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[5]. إذ جعل الله العقل سبيل الوصول إلى الحق، وجعل له قدرات لا نهائية وطاقات جبارة لا يضاهيها شيء كيف لا وهو أحسن الخالقين. حيث يقول الغزالي واصفا العقل :« فأشرف المبدعات هو العقل، أبدعه بالأمر[6] من غير سبق مادة وزمان، وما هو مسبوق إلا بالأمر فقط »[7].

1- صبحي ريان: فلسفة التربية الإسلامية، الغزالي نموذجا، ص80.

2- المرجع نفسه ، ص80.

3 _ سورة يوسف، الآية2.

4 _ سورة الروم، الآية28.

5 _ سورة الحجر، الآية30.

6 _ الأمر: القوة الإلهية (أنظر، أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص182.)

7 _ المصدر نفسه،ص181.

إن العقل معجزة حقيقية، وهذا ما هو مثبت علميا وواقعيا، فلم يخلقه الله هباءً، وإنما ليكون حجة على الإنسان، وباعتبار أن العقل كان من أحد ركائز فكر فيلسوفنا الحكيم، وعالمنا الجليل، "أبو حامد الغزالي"ـ رحمة الله عليهـ ، كان لزاما علينا معرفة وتحديد خصائص وأحكام العقل عنده، فيا ترى ما هي خصائص العقل وأحكامه في نظر الغزالي ؟

المبحث الثالث: خصائص العقل وأحكامه عند الغزالي :

يتميز العقل بجملة من الخصائص لقول الغزالي:« العقل أولى بأن يسمى نورا من العين الظاهرة لرفعة قدره عن النقائص السبعة»[1]. وهنا إشارة لأهمية ومكانة العقل. حيث تتمثل خصائصه في:

أولا: الإدراك :

من خصائص العقل ملكة الإدراك التي يناط بها الفهم والتمييز، حيث يقول "الغزالي" في هذا الشأن: « والعقل يدرك غيره، ويدرك نفسه، ويدرك صفات نفسه، إذ يدرك نفسه عالما وقادرا، ويدرك علم نفسه، ويدرك علمه بعلمه بنفسه، وعلمه بعلمه نفسه،إلى غير نهاية »[2].

أكد "الغزالي" في هذا النص قدرة العقل على معرفة ذاته، بمعنى أن العقل يستطيع معرفة نفسه وصفاته وإمكانياته وعلومه ومدركاته بنفسه ويكتفي بنفسه لفهم

1 _ أبو حامد الغزالي: مشكاة الأنوار، المكتبة الملوكية، مصر، (د- ط)، 1901، ص6.

2 _ المرجع نفسه ، ص6.

ومعرفة نفسه، كما أشار في كتابه "معارج القدس في مدارج معرفة": «فإنه ليس بينهما وبين ذاتها آلة، وليس بينهما وبين آلتها آلة، ولا بينها وبين أنها عقلت آلة، لكنها تعقل ذاتها وآلتها، والتي تدعى آلتها وأنها عقلت فإذا تعقل بذاتها لا بالآلة»[1].

فمن المعلوم أن الإدراك هو خاصية العقل والتمييز عند بني البشر، كما يمكن أن نعبر عنه بالقوة العالمة أو العارفة في الإنسان.

ثانيا : اللاّمحدودية :

فالعقل بإمكانه معرفة كل شيء، ويستطيع فهم كل الأمور والحقائق مهما كانت شدة تعقيدها. وهنا يقول "حجة الإسلام": « والعقل عنده يستوي القريب والبعيد ويَعْرُجُ في طرفه إلى أعلى السّماوات رُقَيًا، وينزل في لحظة إلى أن تحوم الأرض هُوِّيًا بل إذا حقت الحقائق انكشف أنه منزه عن أن يحوم بجنبات قدسه القرب والبعد الذي يعرض الأجسام فإنه أُنموذج من بحور الله تعالى ولا يخلو الأنموذج عن محاكاة وإن كان لا يرقى إلى ذروة المساوقة وهذا ربّما هَزَّكَ للتّفطن[2]. لسر ﷺ (إن الله خلق آدم على صورته)[3] فالحديث دلالة على تكريم الله لابن آدم .

ومعنى النص أن العقل غير محدود، فهو غير مقيد بمسافة ولا مكان ولا زمان ولا مدة معينة، ويقول "الغزالي" أيضا : « القوة العقلية هي ذات تجرد المعقولات

1 _ أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص53.
2 _ أبو حامد الغزالي: مشكاة الأنوار، ص 7.
3 _ رواه مسلم/2612.

عن الكم المحدود والأين والوضع لسائر عوارض الجسم»[1]. أي أن العقل يتباطأ ويتسارع ويصعد وينزل بصورة لا متناهية .

ثالثا : التجريد :

فالتجريد من خصائص العقل، إذ يقول "الغزالي" في هذا الشأن: « والعقل يتصرف في العرش والكرسي، وما وراء حجب السموات، وفي الملأ الأعلى والملكوت، كتصرفه في عالمه الخاص به ومملكته القريبة، أعني بها الخاصة به، بل الحقائق كلها لا تحجب عن العقل، إنما حجاب العقل حيث يحجب عن نفسه لنفسه»[2]. أي بإمكان العقل إدراك ومعرفة كل حقائق وخبايا الوجود دون الاستعانة بواسطة كالحواس، ومثال ذلك عند إغماض الجفون تنعدم وتحجب الرؤية، لكن العقل لا يحجب إدراكه وتفكيره، وهذا يدل على قدرة العقل وسموه ورفعته. يقول "الغزالي":«وجود العناصر القابلة للتركيب، ووجود السموات المتحركة للعناصر، والسماوات المتحركة تدل على محركات هي نفوس سماوية، والنفوس السماوية مستمدة من العقول »[3].

1 _ أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص51.

2 _ أبو حامد الغزالي: مشكاة الأنوار، ص7.

3 _ أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص181.

رابعا : التأمل :

من خصائص العقل التأمل حيث يقول "الغزالي":« والعقل يتغلغل إلى بواطن الأشياء وأسرارها ويدرك حقائقها وأرواحها، ويستنبط أسبابها وعللها وحكمها، ومِمَّ حدثت، وكيف خلقت، ومن كم معنى جمع الشيء ورُكب، وعلى أي مرتبة في الوجود نزل، وما نسبته إلى سائر مخلوقاته»[1].

ومعنى هذا أن العقل يتأمل ما يدركه ويقبله على وجوهه ويستخرج منه بواطنه وأسراره ويبني عليها نتائجه وأحكامه لقوله ﷻ :﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[2]. وهنا إشارة إلى التّدبر في الكون وتأمل مدى دقته وتناسق أجزائه، فتأمل الكون وفهم مجرياته لا يكون إلا بالعقل.

خامسا : معرفة القوى الباطنية النفسية :

من خصائص العقل قدرته على معرفة النفس وقواها الباطنية حيث يقول "الغزالي": « مجال العقل إذ يدرك هذه الموجودات التي عددناها وما لم نعده، وهو الأكثر فيتصرف في جميعها ويحكم عليها حكما يقينيا صادقا، فالأسرار الباطنة عنده ظاهرة، والمعاني الخفية عنده جلية »[3].

1 _أبو حامد الغزالي: مشكاة الأنوار، ص7.

2 _ سورة آل عمران: الآية 190.

3 _أبو حامد الغزالي: مشكاة الأنوار، ص8.

يدرك العقل الأصوات والروائح والطعوم والحرارة والبرودة، والقوى المدركة المتمثلة في قوة السمع والشم والذوق ويعرف الصفات الباطنة النفسانية من فرح وسرور وغم وحزن وألم ولذة وعشق وشهوة وقدرة وإرادة وعلم وأشكال وألوان وأجسام وغير ذلك من موجودات لا تحصى وتعد[1]. أي أن العقل يدرك ما تصدره الحواس مثل: الأصوات والروائح والأذواق والألوان والأشكال وذلك عن طريق السّمع والشّم والتّذوق، ويميز أيضا أحوال النفس الباطنة مثل: الفرح والحزن والألم واللذة..وغيرها.

ويؤكد "الغزالي" على هذا بقوله :« إذا كان علم الطبيب ألّم كان خوفه اشد فيكون الخوف جندا للعقل وعُدَةً له في قمع الشهوات وكسرها، وكذلك يكون العالم أقدر على ترك المعاصي من الجاهل لقوة علمه بضرورة المعاصي »[2].

وما يلاحظ هنا أن جميع القوى المدركة والصفات النفسية هي جنّد وجواسيس للعقل على حد تعبير"الغزالي"، فالخوف مثلا يساعد العقل على قمع وكسر الشهوة.

سادسا : محدودية العقل في الأمور الغيبية :

يمكن للعقل أن يدرك حقائق هذا العالم لكنه يعجز عن الوصول إلى إدراك حقائق القضايا الميتافيزيقية .حيث يقول "الغزالي" :« والعقل يدرك المعقولات والمعقولات لا تتصور أن تكون متناهية، نعم إذا لاحظ العلوم المتحصلة فلا يكون الحاضر الحاصل عنده إلا متناهيا ، لكن في قوته إدراك مالا نهاية له ... وسائر الأعداد ولا يتصور لها نهاية، ويدرك أنواعاَ من النسب بين الأعداد ولا يتصور لها

1 _ أبو حامد الغزالي: مشكاة الأنوار، ص8.

2 _ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج1، ص87.

نهاية بل يدرك عِلْمَهُ بِالشَّيْءِ وَعِلْمُهُ بِعِلْمِهِ بِالشَّيْءَ وَعِلْمُهُ بِعِلْمِهِ بِعِلْمِهِ وقوته في هذا الوجه أيضا لا تقف عند النهاية »[1].

فالعقل رغم مكانته يظل محدودا، فهناك العديد من الموجودات التي لا يستطيع العقل كشف كنهها وحقيقتها، فهو و إن أدرك بعض ظواهر الأشياء، فإنه لم يصل إلى أغوارها وأعماقها. وهذا ما نبه عليه القرآن الكريم فقال ﷻ:﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2]. أي أن هناك أمور غيبية وميتافيزيقية يعجز العقل عن إدراك حقائقها وأسبابها.

سابعا: التصور:

والعقل بإمكانه تصور حقائق الأمور الدنيوية إذ يقول "الغزالي" في هذا الشأن:« والعقل يدرك أن الكواكب والشمس أكبر من الأرض أضعافا مضاعفة»[3]. أي أن العقل يدرك ويعلم ويمكنه فهم وتصور حقيقة الموجودات ويقول أيضا : «وتنظر إلى الكوكب فتراه صغيرا في مقدار دينار، ثم الأدلة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار»[4].

1 _ أبو حامد الغزالي: مشكاة الأنوار، ص9.

2 _ سورة الروم: الآية 7.

3 _ أبو حامد الغزالي: مشكاة الأنوار، ص9.

4 _ أبو حامد الغزالي : تهافت الفلاسفة، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط8، (د-ت)، ص 39.

فالعقل كثيرا ما يكذب أحكام الحس، لأن أحكام الحس لا ترقى لأحكام العقل «فلعله لا ثقة إلا بالعقليات التي هي من الأوليات»[1]. وهذا إشارة لقدرة العقل وتميزه.

والعقل يدرك أن الصبي يتحرك في النمو والتزايد على الدوام، والظل متحرك دائما، والكواكب تتحرك في كل لحظة أميالا كثيرة[2]. ومعنى هذا أن العقل يملك القدرة على تصور حركة الموجودات، وتغيراتها، ويفهمها ويحكم عليها .

أما أحكام العقل يراها "الغزالي" هي أنها إذا تجردت من سلطة حكم الحس والوهم لا تكاد تخطئ لأنها فطرة الله التي فطر الناس عليها[3]. لقول الله ﷻ:﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[4]. يقول "الغزالي" معقبا عن هذه الآية:« فسمى العقل دينا»[5]. ولكون العقل المجرد دينا، فإن التّناقض بين أحكام العقل وأحكام الشرع مستحيل، بل إن أساس الشرع هو العقل[6]. « فهو كالأس والشرع كالبناء، ولن يغني أس ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أس »[7].

1 _ أبو حامد الغزالي : تهافت الفلاسفة، ص39.

2 _ أبو حامد الغزالي: مشكاة الأنوار، ص10.

3 _ نور الدين أبو لحية: الإصلاح الاجتماعي عند أبي حامد الغزالي، دار الأنوار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2016،ص153.

4 _ سورة الروم، الآية 30.

5 _ أبو حامد الغزالي : معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص73.

6 _ نور الدين أبو لحية: الإصلاح الاجتماعي عند أبي حامد الغزالي، ص153.

7 _ أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص153.

فالشرع حسب "الغزالي" عقل من خارج والشرع عقل من داخل، وهما لا يتعارضان، لأن كليهما نور من الله، يؤيدان ويصدقان بعضهما البعض، وتمجيد أونبذ أحدهما بالضرورة تمجيد أو نبذ للآخر.

لقد اتهم الغزالي الفلاسفة العقليين بأنهم لم يدركوا حقيقة العلاقة مابين العلوم العقلية والعلوم الإلهية تلك العلاقة التي إن هوت خفت معها قوة العقل حيث يقول "الغزالي": « إن العقل لن يهتدي إلا بالشرع والشرع لن يتبين إلا بالعقل»[1] وهكذا يسمي"الغزالي" العقل دينا، والدّين عقلا، وكلاهما نور على نور، نور العقل ونور الشرع.

فالأحكام العقلية تستند إلى الشرع، والشرع لن يظهر إلا عن طريق العقل، وهذا ما يدل على توفيق "الغزالي" بين العقل والدين. وهذا التوفيق يطبقه على جميع ما يتحدث عنه الفلاسفة أو الصوفية من لطائف، كالقلب، والرّوح، والنفس، فهي عنده ألفاظ مختلفة لمعنى واحد، وهو تلك الغريزة أو اللّطيفة التي تعرف بها حقائق الأشياء[2].

ويجعل "الغزالي" لهذه اللطيفة خمس مراتب تبدأ بالحس ثم الخيال ثم الحواس ثم العقل ثم الأوليات العقلية الناتجة عن إدراك المعاني الخارجة عن الحس والخيال

1_ أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص73.

2_ نور الدين أبو لحية: الإصلاح الاجتماعي عند أبي حامد الغزالي، ص 154.

وهذه المراتب كلها مكتسبة ثم تأتي المرتبة الأخيرة من مراتب العقل التي تتجلى فيها لوائح الغيب وأحكام الآخرة ويسمي"الغزالي" العقل هنا «نور البصيرة »[1].

فجميع الأحكام موجودة أو صادرة عن جوهر الإنسان وعقله لكن ظهورها يختلف باختلاف طبائع البشر[2]. يقول "الغزالي": « أما ميزان الرأي والقياس، فحاشا لله أن أعتصم به، فذاك ميزان الشيطان، ومن زعم من أصحابي أن ذلك ميزان المعرفة، فأسأل الله أن يكفي شره عن الدين، فإنه للدين صديق جاهل هو شر من عدو عاقل»[3]. ويتضح هنا أنه من الخطأ استعمال الأحكام المستمدة من الحس والوهم في مجال معرفة الالوهية أو عالم الغيب لأن الحواس قد تخطئ.

ومنه نستخلص أن الأحكام العقلية لا يمكن بناءها على معارف الحس والوهم، لأن هذا خطأ وقد يكون خطرًا، لأن الاعتماد على الحواس والوهم يؤدي إلى الجمود الفكري والجهل وهذا يتعارض مع مكانة العقل، هذا الأخير الذي اختص به الله عباده وجعله مناطا للتكليف، يقول الله ﷻ:﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَا أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَا مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[4].

1 _ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الديني، ج1، 87.

2 – نور الدين أبو لحية: الإصلاح الاجتماعي عند أبي حامد الغزالي، ص155.

3 _ أبو حامد الغزالي: القسطاس المستقيم، تحقيق: فيكتور شلحت، دار المشرق، بيروت، ط2، (د _ ت)، ص41.

4 _ سورة الأحزاب: الآية 72.

فبهذا العقل وبه وحده كان الإنسان أهلا لحمل أمانة التكليف، كما أن العقل هو الذي دّل على صدق محمدﷺ وهو من الأصول الأربعة. أي **الأول:** هو القرآن الكريم، **والثاني:** هو السنة النبوية المشرفة، **والثالث:** هو الإجماع، **والرابع:** هو العقل حسب "الغزالي".

المبحث الرابع: أقسام العقل وأنواع العقول لدى الغزالي:

إن تشريف العقل عند حجة الإسلام "أبو حامد الغزالي" لا يحتاج إلى برهان، وذلك لأنه حقيقة بديهية وظاهرة للعيان، فعندما نتفحص مؤلفاته بحثا عن موقفه من العقل فإننا لا نعثر على سبيل واحد لا يؤدي إلى اليقين، فقد أثنى ـ أي العقل ـعليه واعتبره أفضل الخصائص التي ميز الله بها الإنسان، وذلك في كثير من كتاباته ومؤلفاته التي بيّن فيها وأكد على شرف العقل وأهميته، ومن خلال هذا وجب طرح السؤال التالي: ماهي أقسام العقل وأنواعه عند الغزالي؟

لقد قسم الغزالي العقول إلى أربعة أقسام وهي:

أولا: العقل الباطن:

وهو العقل اللاواعي المسؤول عن الخواطر والأحلام والمزاج يقول "الغزالي" في هذا الشأن:« الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصّناعات الخفية الفكرية»[1]. ومعنى هذا أن "الغزالي" أدرك أن

1 ــ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج1، ص84.

في الإنسان استعداد للفهم، وسماه بالغريزة، وهذا الاستعداد فطري غريزي، وأنه كالنّور الذي يقذف في القلب فيعين صاحبه على إدراك الأشياء.

ثانيا: العقل الظاهر:

وهو العقل اليقظ أو العقل الواعي الفطن يقول "الغزالي": « هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات»[1]. ويعني البديهيات والنّور الفطري والمقدمات الأولية والعلوم الضرورية في المنطق والحساب والهندسة.

فالظاهر أساس لابد منه للعبور إلى الباطن[2]. والعبور من الظاهر إلى الباطن إنما يتم بعد إقرار واجتياز إدراك الأوائل العقلية والحسية، والتجارب والأخبار، وما تقود إليه الاستدلالات الخفية المتشكلة في الخيال الذي له بدوره وجه إلى الباطن لاستقى منه إدراكات أخرى[3]. وهذا دلالة على ارتباط الظاهر بالباطن .

ثالثا: العقل التجريبي

ومعناه أن العقل يمر بعدة تجارب في مرحلته الحياتية يقول "الغزالي": «علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال، فإن من حنكته التجارب، وهذبته المذاهب، يقال إنه عاقل في العادة »[4].

---

1 _ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج1، ص85.

2 _ أنور الزعبي: مسألة المعرفة ومنهج البحث عند الغزالي، ص117.

3 _ المرجع نفسه، ص119.

4 _ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج1، ص85.

يوضح الغزالي من خلال هذا النص أن الإنسان يخوض العديد من التجارب في حياته، ومن البديهي أن يستفيد منها فكل تجربة تزيد العقل تعقل وحنكة.

رابعا: العقل العملي:

وهو العقل الخالص المتريث أو المتصرف لأنه هو الذي يميز بين الأمور ويتخذ القرارات القطعية الصائبة حيث يقول "الغزالي": « أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الدّاعية إلى اللّذة العاجلة ويقهرها فإذا حصلت هذه القوة سمى صاحبها عاقلا من حيث أن إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة»[1].

اعتبر "الغزالي" إن القوة في النفس عاقلة[2]. فهي ـ أي القوة العاقلة ـ تمثل مبدأ حركة بدن الإنسان فترشده إلى أفعال معينة، وهي مختصة بالفكر والرؤية، وتجعل النفس مذعنة للعقل غير مستولية ومسخرة له في تحقيق أغراضه.

يشير "الغزالي" إلى أن العقل الباطن والعقل الظاهر يحصلان بالطبع والعقل التجريبي والعقل العملي بالاكتساب، فالعقل الباطن هو أصل العقول يتفرع عنه كل من العقل الظاهر والعقل التجريبي وذلك تحقيقا للعقل العلمي وهو المقصد الأسنِّي الذي نصل إليه. أي الغاية الحقيقة القصوى من تفكير العقل وهي الفهم.

1 ــ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج1، ص85.

2 ــ أنور الزعبي: مسألة المعرفة ومنهج البحث عند الغزالي، ص238.

حيث يقول "الغزالي":« فالأصل هو الأس والسّنخ والمنبع، والثاني هو الفرع الأقرب إليه، والثالث فرع الأول والثاني، إذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب، والرابع هو الثمرة الأخيرة وهي الغاية القصوى»[1].

قسم الغزالي العقل إلى أربعة أقسام، وذلك حسب المعاني الأربعة التي أعطاها للعقل: الغريزة التي تصف العقل الباطن، والعلوم الضرورية المتمثلة في العقل الظاهر، والعلوم التجريبية ممثلة في العقل التجريبي، والثّمرة المستخلصة أو الغاية القصوى ممثلة في العقل العملي.

كما ذكر "الغزالي" في كتابه "معيار العلم" أنواع العقل نقلا عن الفلاسفة الذين ميزوا بين ثمانية معاني للعقل حيث يقول:« وأما الفلاسفة فاسم العقل عندهم مشترك يدل على ثمانية معاني مختلفة، العقل الذي يريده المتكلمون، والعقل النظري، والعقل العملي، والعقل الهيولاني، والعقل بالملكة، والعقل بالفعل، والعقل المستفاد، والعقل الفعال»[2].

وهذا التقسيم لا يعكس بالضرورة رأي "الغزالي" لأنه يعرض هذه العقول في إطار تفسيره للحدود المفصلة عند الفلاسفة، كما أن "معيار العلم" جاء ملحقا لتوضيح الاصطلاحات والمعاني الفلسفية التي وردت في كتاب "تهافت الفلاسفة"[3].

1 _ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم إحياء الدين، ج1، ص85.

2 _ أبو حامد الغزالي: معيار العلم، المطبعة العربية، القاهرة، 1928، ص ص 183، 184.

3 _ صبحي ريان: فلسفة التربية الإسلامية الغزالي نموذجا، مرجع سابق، ص82.

ومعنى هذا أن هذه التقسيمات أو المعاني الثمانية للعقل لم يأت بها "الغزالي" إذ لم يؤيدها ولم يعارضها واكتفى فقط بنقلها وشرحها.

وتتنوع العقول حسب رأي الغزالي إلى:

أولا: العقل الغريزي:

وهو العقل الحقيقي الذي يتميز به الإنسان عن سائر الحيوانات، وبه يدرك المبادئ الأولية والضرورية والبديهية يقول "الغزالي":« هو القوة المستعدة لقبول العلم، ووجوده في الطفل كوجود النّخل في النّواة »[1]. وهذا معناه الفطرة الثابتة في النفس.

ثانيا: العقل المكتسب:

وهو ما يحصل بالنظر والاستدلال، فلا يدرك بديهة، ولكن بالنظر واستعمال المبادئ العقلية، يقول "الغزالي":« والمكتسب المستفاد هو الذي يحصل من العلوم إما من حيث لا يدري كفيضان العلوم الضرورية عليه، بعد التمييز من غير تعلم، وإما من حيث يعلم مدركه وهو التعلم »[2]. أي يحصل من خلال التّعلم والاستدلال.

كما أدرج "الغزالي" قول الإمام علي ﷺ:

رَأَيْتُ اَلْعَقْلَ عَقْلَيْنِ فَمَطْبُوعٌ وَمَسْمُوع

وَلاَ يَنْفَعُ مَسْمُوعٌ إِذَا لَمْ يَكُ مَطْبُوع

1 _أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج1، ص85.

2 _ أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، مطبعة كردستان، مصر،(د – ط)، 1328، ص56.

كَمَا لاَ تَنْفَعُ اَلشَّمْسُ وَضَوْءُ اَلْعَيْنِ مَمْنُوع

وهذا دلالة على أن العقل نوعين :

ـ **مطبوع**؛ ويقصد به العقل الغريزي، يقول"الغزالي": « والأول هو المراد بقوله "ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل" »[1]. وهو دلالة على تكريم الله للإنسان بالعقل عن سائر المخلوقات .

ـ **ومسموع**؛ ويقصد به المكتسب، يقول "الغزالي":« والثاني هو المراد بقوله عليه السلام لعلي "إذ تقرب الناس بأبواب الخير فتقرب بعقلك"»[2]. أي العقل نوعان ما طبع في البشر جميعا بالفطرة وما اكتسب بالتعلم.

يقول "الغزالي":« والأول يجري مجرى البصر للجسم»[3]. يعني متأصل في جسم الإنسان. « والثاني يجري مجرى نور الشمس»[4] فلا غنى لأحدهما عن الثاني، ولا منفعة للنور إذا كان البصر أعمى ولا فائدة للبصر إذا كان النور غير موجود.

1 ـ أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، ، ص57.

2 ـ المصدر نفسه ، ص56.

3 ـ المصدر نفسه، ص56

4 ـ المصدر نفسه، ص56.

يقـول الغزالــي: « فــالأولان بــالطبع والأخيـران بالاكتســاب »[1] . فــالعقلان الأولان العقــل الظــاهر والبــاطن يمــثلان المراحــل الأساســية للعمليــة العقليــة، أي؛ الجانــب الفطـري الغريـزي. أمــا الأخيـران أي؛ العقـل التجريبــي والعقـل العملــي يمثلان الجانب المكتسب.

إن التــرابط الــداخلي الموجــود بــين هــذه العقــول بــيّن توجــه "الغزالــي"، الذي أصبحت فيه وحدة العلم والعمل جوهر المعرفة .

1 _ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج1، ص84.

الفصل الثاني :

الغزالي بين العقل، الفلسفة والدّين.

المبحث الأول:

تمجيد الغزالي للعقل.

المبحث الثاني:

دور العقل في إحراز العلوم.

المبحث الثالث:

علاقة العقل بالتفكير والتفلسف.

المبحث الرابع:

أهمية العقل في فهم مقاصد الشريعة.

المبحث الأول: تمجيد الغزالي للعقل:

اجتهد "الغزالي" في إيقاظ الوعي في المجتمع الإسلامي، وذلك بتحرير العقل من رق التقليد[1]. فأولى هذا الأخير ـ أي العقل ـ أهمية كبيرة، وهذا ما أشرنا له في الفصل الأول من بحثنا، إذ أن المتتبع لكتابات الغزالي لا يجد سبيلا للذود عن العقل، كيف لا وهو أعظم ما شرف به الإنسان، واستطاع به تحمل الأمانة والتكليف، وأدرك به سبب وكنه وعلل الموجودات، ولهذا حظي العقل باهتمام الغزالي. ومن هنا نتساءل كيف نظر "الغزالي" للعقل؟ أو ما مكانة العقل في فكر "الغزالي"؟

يعتبر العقل الأداة المهمة لكشف الحقيقة في نظرية المعرفة عند "الغزالي"، ويشمل إدراك العقل جميع الموجودات في العالم المحسوس، بمعنى أن العقل بإمكانه الوصول إلى درجة الحكم اليقيني والحقيقي بالنسبة للأشياء الموجودة في العالم المحسوس[2].

وكان "الغزالي" متشبثا أيما تشبث بالعقل، وهذا واضح وجلي بشكل كبير في معظم مؤلفاته، فهو لم يتخل عن العقل لحظة إلا خلال الفترة المرضية التي مرت به حيث يقول في كتابه "المنقذ من الضلال": «ورجعت الضروريات مقبولة موثوقا بها على

1_ صالح أحمد الشامي: الإمام الغزالي، دار القلم، دمشق، ط1، 1993، ص27.

2_ صبحي ريان: فلسفة التربية الإسلامية الغزالي نموذجا، ص76.

أمن ويقين »[1]. وهنا يؤكد "الغزالي" على ضرورة العقل، فلا وسيلة ولا معيار للفهم إلا بالعقل.

فالعقل حسب الغزالي مطية المرء، وبضاعة المجتهدين، وغاية العباد، ووسيلة السعادة في الدنيا والآخرة. يقول الغزالي في هذا الشأن: « فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة »[2]. وهذا دلالة على تشريف العقل.

ويقول أيضا:« فشرف العقل مدرك بالضرورة »[3]. فالعقل عند الغزالي هو حقيقة الإنسان التي يدرك بها ذاته وغيره لأنه « الغريزة التي يتهيأ بها لإدراك العلوم النظرية»[4]. وهو الاستعداد الفطري في نفس الإنسان. إذ يقول: « به يستعد لإدراك الأشياء»[5]. ويقصد به العقل.

قال رسول الله ﷺ: (أول ما خلق الله العقل، فقال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال الله ﷻ وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم علي منك، بك آخذ، وبك أعطي، وبك أثيب، وبك أعاقب)[6]. يعني أن أشرف وأفضل المخلوقات عند الله

1_ أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، تح:سعد كريم الفقي، دار ابن خلدون للنشر والتوزيع، الإسكندرية، (د- ط)، (د- ت)، ص11.

2_ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج1، ص82.

3_ أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، ص27 .

4_ أبو حامد الغزالي: المستصفى في علم الأصول، تح: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د- ط)،1992، ص19.

5_ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج 1 ، ص19 .

6_ المصدر نفسه، ص 84. (الحديث: أخرجه الطبراني في الأوسط بإسنادين ضعيفين).

هو العقل، ويأخذ العقل مكانة الباحث والحاكم ذي الصلاحية العليا فيما يتعلق بالموجودات في العالم المحسوس[1].

يقول "الغزالي": « وهذا العقل الذي يدرك به الإنسان الأشياء يجري من العقل الأول الذي خلق الله ﷻ مجرى النور من الشمس. فإن هذه العقول عقول بالإضافة إلى الأشخاص وذلك مطلق من غير إضافة، وأما دلالة العقل على شرف العقل فهو لا ينال سعادة الدنيا والآخرة إلا به، فكيف لا يكون أشرف الأشياء وبالعقل صار الإنسان خليفة الله وبه تقرب إليه وبه دينه»[2]. وهذا الشرف سبب خلافة الإنسان لله في أرضه لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[3].

ويورد "الغزالي" في ذات الكتاب أي "ميزان العمل " قول النبي ﷺ:(لا دين لمن لا عقل له)[4]، وقوله ﷺ أيضا: (لا يعجبكم إسلام امرئ حتى تعرفوا عقله)[5]. كما يقول في مؤلفه "مشكاة الأنوار":« العقل أولى بأن يسمى نورا»[6]. ومعنى هذا أن العقل هو نور يقذفه الله ﷻ في قلب الإنسان ليدرك به حقائق الأشياء والموجودات.

إذ نعثر عليه في "معيار العلم" و"القسطاس المستقيم" يثني أيضا على العقل ويعتبره أفضل الخصائص التي ميز الله بها الإنسان إذ يقول: « العقل يرى الأشياء كما هي فهو المعيار الذي لا يمكن أن يخطئ في التمييز بين الحق والباطل إذا

1_ صبحي ريان: التربية الإسلامية الغزالي نموذجا، ص77،

2_ أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، ص54 .

3_ سورة البقرة: الآية 30 .

4 _ الألباني (546/1)، رقم 370.

5_ نقلا عن أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، ص 55.

6_ أبو حامد الغزالي: مشكاة الأنوار، ص 6 .

تجرد من غشاوة الوهم»[1]. فبالعقل تدرك الواجبات والجائزات والمستحيلات فهو سبيل الوصول إلى الحق والأداة التي تفرق بين الحق والباطل.

ويقول "الغزالي" في العقل دائما: «الأوليات العقلية قوانين صادقة وثابتة»[2]. أي أن الغزالي اعتبرها من الأمور الأزلية التي لا تتغير، وهي توجد في المنطق المميز بالفطرة دون سابق تجربة. « لعله لا ثقة إلا بالعقليات التي هي من الأوليات»[3].

ويذهب "الغزالي" للقول في مقدمة كتابه "المستصفى في علم الأصول":«فقد تناطق قاضي العقل، وهو الحاكم الذي لا يعزل ولا يبدل، وشاهد الشرع، وهو الشاهد المزَّكى المعدل »[4]. ويقول أيضا : « العقل الذي هو أشرف الأشياء لأنه مركب الديانة، وحامل الأمانة، إذ عرضت على الأرض والجبال والسماء فأشفقن من حملها غاية الإباء»[5]. ومعنى هذا أن أشرف المخلوقات هو العقل، فحمله للأمانة دليل واضح على عظمته وتشريفه من الله ﷻإذ جعله سببا للتكليف ووسيلة لتحصيل العلم والمعرفة وفهم الشريعة، لكن رغم هذا التشريف إلا أنه يبقى عاجزا عن فهم واستيعاب كل مكنونات الوجود "الغيبيات" ، فالعقل له مجاله المحدد للنظر والفهم الذي خصه الله تعالى به.

1_أبو حامد الغزالي: معيار العلم، ص 55.

2_ أبو حامد الغزالي: المستصفى في علم الأصول، ص 2 .

3_أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، ص10.

4_ المصدر نفسه، ص10.

5_ أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، ص 3 .

فهكذا يجعل العقل ملزما، متبوعا، مطاعا. أليس هو القاضي، وحكم القضاء نافذ، أليس هو الحاكم، وطاعة الحاكم واجبة، وكان الغزالي دقيقا غاية الدّقة حين وصفه بأنه "الحاكم الذي لا يعزل". ثم هو شاهد الشرع المزّكى المعدل، وهل ترد شهادة مثل هذا الشاهد.

ثم لفت نظرنا أيضا أن "الغزالي"، وهو يعرض لأدلة الأحكام في (القطب الثاني) من"المستصفى" جعله خاصا بها وتفصيلا لها، قد عرضها هكذا:[1]

القطب الثاني في أدلة الأحكام وهي أربعة:

1ـ الكتاب

2ـ السنة

3ـ الإجماع

4ـ دليل العقل: (المقر على النفي)[2]

ومعنى هذا أن "الغزالي" عدَّ العقل رابع الأدلة وأصلا رابعا ، فهو السبيل إلى إدراك براءة العدم الأصلية. ويشرحها "الغزالي"بقوله:« اعلم أن الأحكام السمعية لا تدرك

1ـ عبد العظيم ديب: العقل عند الإمام الغزالي،حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ، قطر، ع6، 1988،ص462.

2ـ أبو حامد الغزالي: المستصفى في علم الأصول، ص100.

بالعقل، لكن دل العقل على براءة الذمة من الواجبات»[1]. فالأحكام السمعية قطعية والعقل بريء منها فلا حاكم إلا الله.

وقد أشار الخطاب القرآني إلى محورية العقل من حيث قوة الإدراك المختصة بحقائق الوجود في غير آية. نذكر على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى :﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[2]. أي أن العقل هو البصيرة القلبية التي تدرك بها حقائق الوجود . وتبين الآية أيضا أن بالعقل يحصل الاعتبار وإدراك الحقائق، وبفساده يتعطلان.

وقد مجد "الغزالي" العقل في الكثير من مؤلفاته وبين منزلته ومكانته، كما أثنى على أهل العلم وخاصته. بل إنه يقول في أعظم كتاب ألفه ليناصر به مذهب الأشاعرة وهو" الاقتصاد في الاعتقاد" : « وأما أتباع العقل الصرف، فلا يقوى عليه إلا أولياء الله تعالى الذين أراهم الحق حقا وقواهم على إتباعه»[3]. ومعنى هذا أن أتباع العقل وخاصته هم أولياء الله. فقد اشتملت آيات الكتاب العزيز على ألوان شتّى من الثناء على أصحاب العقول. قال الله تعالى:﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[4].

1_أبو حامد الغزالي: المستصفى في علم الأصول ، ص 217.

2_سورة الحج: الآية 46 .

3_سليمان دنيا: الحقيقة في نظر الغزالي، دار المعارف، مصر،(د- ط)، 1965، ص 54 .

4_سورة العنكبوت، الآية 43 .

ولكي يصل العقل إلى الحق يجب عليه نبذ التقليد لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيْلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ أَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[1].

وقد تضافرت آيات الكتاب العزيز على محاربة الأساطير والخرافات وكل ما من شأنه أن يؤدي إلى ظلم العقل وإلغاء دوره، وهذا ما ذهب إليه الغزالي.

ولذلك يرى "الغزالي" أن العالم لا ينبغي أن يكون مقلدا[2]. الغزالي كان في حملته على الفلسفة والفلاسفة لا يهاجم الفكر الحر، ولا المنهج العلمي، وإنما هاجم تقليد آراء فلاسفة اليونان، والخضوع لها، وعدم عرضها على معيار العقل، وميزان الفكر، وقد كان دائما ضد التقليد داعيا إلى نبذه وإلغائه أو إبعاده، مناديا بضرورة البحث عن الحق ومعرفته بالحق[3]. فيجب على العالم أن يتحرى المعرفة ويبحث عن الحقيقة باستخدام عقله، لا أن يأخذ العلم تقليدا وتبعية أي لا يكتفي بأقوال وآراء أسلافه دون أدلة مقنعة، بل عليه مناقشتها وتحليلها أو دحضها وإلغائها إن لزم الأمرويقول "الغزالي" في هذا الصدد : « فاعلم أن من عرف الحق بالرجال، حار في متاهات الضلال، فاعرف الحق تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق»[4]. ومعنى هذا أنه على العالم معرفة الحق ثم بالحق يعرف الرجال.

ثم إن العالم عليه أن يُعْمِلَ عقله في تفهم أسرار أقواله ﷺوأفعاله لأنها لا تخلو من الأسرار واكتشاف ذلك مهمة العالم،حيث يقول "الغزالي" في هذا الشأن:«ومنها

1_ سورة البقرة: الآية 170 .

2_ صالح أحمد الشامي:الإمام الغزالي، ص 201 .

3_ عبد العظيم ديب: العقل عند الإمام الغزالي، ص 465 .

4_ أبو حامد الغزالي:إحياء علوم الدين، ج1، ص 23 .

أن يكون اعتماده في علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب، ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وإنما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر وقاله. وإنما يقلد الصحابة ﷺ من حيث إن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله ﷺ»[1]. ومعنى هذا التقليد لا يكون إلا للنّبي ﷺ والصّحابةﷺ، وغير ذلك يصبح المقلد إنسانا أعمى- حسب الغزالي-

يدعو "الغزالي" العلماء إلى التّحرر من رق التقليد والخروج من الجمود الفكري وذلك بإعمال العقل وتفعيل دوره وأداء واجبهم.

يقول الدكتور "سليمان دنيا" عن "الغزالي" في مقدمة كتاب " معيار العلم":« لو أردنا أن نلخص خلاصة رأيه في العلوم ومصادرها، في كلمة موجزة لقلنا: إنه من الطائفة المدعوة بالعقليين»[2]، فإنه يقول: « العلم هو اليقين العقلي المأخوذ إما من الحسيات- بعد فحص العقل لها، وتفتيشه عن مآخذها، هل هي مستوفية لشروط الإحساس الصحيح أو لا، وإما من البديهيات- بعد فحص العقل لها، هل سلمت من سلطة الأوهام أو لا، وإما من المتواترات - بعد تفتيش العقل واعتماده، وإما من الوجدانيات - بعد الفحص العقلي، وإما من التجريبيات- بعد الفحص العقلي، وإما من القضايا الفطرية القياس- بعد الفحص العقلي، فكل ذلك لا ثقة به إلا بعد تفتيش العقل وفحصه، ثم إعطائه الحكم بأنه صحيح أو غير صحيح »[3]. أي أن العلم يمكن تحصيله من خلال الحسيات أو البديهيات أو المتواترات أو الوجدانيات أو التجريب

1_ صالح أحمد الشامي: الإمام الغزالي، ص202 .

2_ سليمان دنيا: مقدمة معيار العلم، ص26.

3_ المرجع نفسه، ص26 .

و القضايا الفطرية المتمثلة في القياس، لكن كل هذه الأمور خاضعة لحكم العقل وقدرته على فحص صحتها، وبهذا يصل العقل إلى اليقين.

لهذا فالعقل لم يأت عرضا في القرآن ولا تردد كثيرا على سبيل التكرار المعاد، فالقرآن لم يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه، ولا تأتي إليه الإشارة عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة، وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله، أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه[1].

وخلاصة القول أن "الغزالي" كان يعلي من شأن العقل وينتصر له دون المساس بجوهر العقيدة الدينية وأصولها، إذ دعا إلى ضرورة النظر العقلي الدقيق في الآراء والأفكار المطروحة من جانب غيره من السابقين عليه والمعاصرين له، ورفض التقليد بمختلف صوره، وأفسح المجال للعقل مؤكدا على دوره في شؤون الفكر كله بما في ذلك الفكر الديني.

المبحث الثاني: دور العقل في إحراز العلوم:

مما لاشك فيه أن فلسفة الغزالي تحمل في طياتها الكثير من التعقل، إذ أن هذا الأخير بالضرورة يحيل إلى التفكير، وبما أن التفكير يقود حتما إلى المعرفة، والمعرفة يمكن وصفها بالعلم، أو هي حقيقته الأولى فما هو دور العقل في تحصيل العلوم من وجهة نظر الغزالي؟

1 _ سليمان دنيا: مقدمة معيار العلم، ص27.

قبل الولوج في تبيان دور العقل في حصول أو تحصيل العلوم، كان من الضروري توضيح نظرة الغزالي للعلم.

إن الله ﷻ بدأ كتابه الكريم بالدعوة إلى التعليم والعلم وذلك في قوله تعالى:﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[1] وهذا يعكس بوضوح رسالة الإسلام الحضارية التي تقوم على العلم والقراءة. وقد فطن الغزالي إلى أهمية ذلك، فتحدث عن فضل العلم ومكانته ومرتبة العلماء ومنزلتهم عند الله، وهذا واضح من خلال حديثه عن المراد بالعلم، إذ يعرفه بقوله :« إن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم، وينبغي أن يكون مقارنا لليقين مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه من يقلب الحجر ذهبا والعصا ثعبانا لم يورث ذلك شكا ولا إنكارا »[2]. ومعنى هذا أن العلم يكشف الحقائق ويزيل الشك والإبهام والغموض، وهذه غايته الكبرى.

ويقول أيضا في تعريف آخر للعلم :« الاعتقاد الجازم المطابق للمعلوم ويكون على بصيرة ويتصف بالثبات عند التشكيك »[3]. وهذا التعريف يميز العلم عن الظن والشك ويعطيه صفة الثبات والرزانة، ويعلي من شأنه ويؤكد على ترفعه عن الظنون والأوهام.

كما يقول :« اعلم أن العلم تصور النّفس النّاطقة المطمئنة حقائق الأشياء وصورها المجردة عن المواد بأعيانه، وكيفياتها، وكمياتها، وجواهرها، وذواتها، إن كانت مفردة

1 _ سورة العلق: الآية1.

2_ أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، ص10.

3_أبو حامد: المستصفى في علم الأصول،

والعالم هو المحيط المدرك المتصور، والمعلوم هو ذات الشيء الذي ينتقش علمه في النفس»[1]. وهذا دلالة على كيفية التعلم عند النفس الإنسانية، فهي تتصور الأشياء المجردة بكل صورها ومقاديرها وجواهرها الموجودة في العالم باعتباره حد الإدراك والتصور لدى النفس الإنسانية، فكل ما طبع في النفس هو معلوم. ويقول :«العلم عبادة النفس وفي لسان الشرع عبادة القلب»[2]. فبالعلم يكون الإنسان عابدا بنفسه، وبالشرع يكون عابدا بقلبه.

لقد اهتم "الغزالي" بالعلم وتظهر أهميته وتشريف العلم عنده من خلال قوله: «فاعلم أن العلم شريف بذاته من غير النظر إلى جهة المعلوم، وحتى إن علم السّحر شريف بذاته وإن كان باطلا، وذلك أن العلم ضد الجهل، والجهل من لوازم الظلمة، والظلمة من حيز السّكون، والسكون قريب من العدم، فالجهل حكمه حكم العدم، والعلم حكمه حكم الوجود »[3].

وخلاصة هذا القول أن العلم هو الوجود، وهو الحياة، وأنه شريف في ذاته، لأن به قوام الوجود، وديمومة الحياة التي تتصل بخيوطه مع الآخرة، وهنا تكمن ضرورته وأهميته[4]. فأكثر ما يطلق لفظ النور والظلمات في القرآن الكريم على العلم

1_أبو حامد الغزالي: الرسالة اللدنية، شركة الطباعة الفنية، (د- ط)، (د- ت)، ص98

2_أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، ص58.

3_أبو حامد الغزالي: الرسالة اللدنية، ص99.

4_رحمة عثمان محمد: منهج الغزالي في العلم والمعرفة، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، ع6، 2005 ، ص4.

والجهل حيث يقول المولى ﷻ في كتابه العزيز:﴿اللهُ وَلِيُّ الذِّينَ آمَنُوا يُخرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ[1]. ﴾ومعنى هذا أن الخروج من الظلمات إلى النور إنما يكون بالعقل.

فالدين يعرف بالعلم حسب الغزالي، إذ حث- أي الغزالي- كل من أراد سلوك الطريق أن يبدأ بالعلم قبل اشتغاله بالمجاهدة، فهذا المسلك هو الذي يضمن عدم الانحراف، لأن من بدأ بالعلم سيكون لديه المقياس الذي يقيس به مسلكه وهو القرآن والسنة[2]. فالذي يبدأ بالعلم يصبح بيده المقياس الصحيح[3]. أي يملك القدرة على فهم مجريات الأمور، لأن العلم وسيلة من وسائل السعادة، حيث يقول "أبو حامد الغزالي" في هذا الشأن:« فإفادة العلم من وجه صناعة، ومن وجه عبادة الله تعالى، ومن وجه خلافة الله أجلى خلافة[4]. ومعنى هذا أنه بالعلم يمكن للإنسان أن يعمل، أي يبدع ويبتكر ويصنع، وبالعلم يستطيع العبد معرفة ربه، والوقوف على أوامره ونواهيه،وبالتالي يتمكن من عبادته، وبالعلم الذي محله العقل والقلب كان الإنسان خير خليفة لله في أرضه.

يبني أبو حامد الغزالي نظريته في المعرفة على قول الله ﷻ في محكم تنزيله:﴿وَاتَّقُوْا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [5]. أي العلم الذي هو ثمرة التقوى هو العلم النافع، والعمل الذي ينصلح به العبد حقيقة، والذي يفرق به بين الحق والباطل والهدى

1_ سورة البقرة: الآية257 .

2_ صالح أحمد الشامي: الإمام الغزالي، ص133.

3_ المرجع نفسه، ص133.

4_ أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، ص54.

5_ سورة البقرة: الآية 282.

والضلال،ويفتح الله به عليه في الفهم ويكشف به أمورا ومشتبهات قد يغفل عنها سواه.

بمعنى أن العلم متوقف على التقوى، والتقوى لا تكون إلا بتوحيد الله، حيث يقول "الغزالي" في هذا الصدد: « وليس يخفى أن العلوم العقلية تدرك بالعقل، الذي هو أشرف القوى وبه يتوصل إلى جنة المأوى، وهو أبلغ نفع وأعمه، وهو موضوعه الذي يعمل فيه نفوس البشر، وهي أفضل موضوع، بل أشرف موجود في هذا العالم »[1]. ومعنى هذا أن قواعد العلم في الأساس هي قواعد عقلانية، فبالعقل تكتشف نظريات العلم فلولا العقل ما علمنا ولا أدركنا أي علم من العلوم.

يقول الغزالي :« العلم هو أصل الدين»[2]. لكن العلوم لا تحصل إلا بالعقل، وبالتالي فإن معرفة الدين ومعرفة الله والإيمان به لا تكون إلا بالعقل والعلم، لقوله ﷻ:﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدَى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾[3].

وهذا دلالة على ضرورة العقل إلى جانب العلم، فشرفهما مدرك لا محالة حيث يقول "الغزالي" هنا:« أما شرف العلم والعقل فمدرك بضرورة العقل والشّرع والحس»[4].

1 _ أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، ص133.

2_ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين،ج2، ص236.

3 _ سورة لقمان:الآية 20.

4 _ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين،ج2، ص84.

ـ فأما الشرع :استنادا لقول النبيﷺ الذي أورده الغزالي في كتابه بأن أول المخلوقات هو العقل، فقد قال عليه السلام:(أول ما خلق الله العقل)[1].

ـ وأما العقل فيقول "الغزالي":« فهو أن ما لا ينال سعادة الدنيا والآخرة إلا به »[2].

أي العقل منبع وأساس السعادة في الدنيا والآخرة.

ـ وأما الحدس فيقول فيه "الغزالي":« حتى أكبر الحيوانات شخصا أقواها بدنا، إذا رأى الإنسان احتشمه بعض الاحتشام واستشعر لإحساسه بأنه مستدل عليه بجبلته»[3]. وهذا يدل على شرف العقل والعلم.

كما يذهب "الغزالي" للكلام عن التعليم فيقول عنه: « وأشرف هذه الصناعات الأربع بعد النبوة فإفادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة والمهلكة إلى الأخلاق المسعدة وهو المراد بالتعليم»[4]. ومعناه أن التعليم من أشرف المهن بعد النبوة فهو رسالة الأنبياء، وهدفه تهذيب النفوس وحملها على الأخلاق الفاضلة وإبعادها عن كل ما هو مذموم.

1 _ نقلا عن: أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، ص54.(حديث ضعيف مختلف فيه).

2_ المصدر نفسه ، ص54.

3 _ أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، ص54.

4_ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين،ج1 ، ص ص 10- 13.

ويرى "الغزالي" أن العلوم تختلف وتتفاوت فضائلها لا محالة بتفاوتها في ذاتها وأثرها، إذ يقول في هذا الصدد:« وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة...وهي الأدلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن اتخذها آلة، ومنزلا لمن يتخذها مستقرا ووطنا»[1].

فالتعليم عند "الغزالي" لا يقتصر دوره الديني كونه يساعد على الاستخلاف في الأرض، فالله تعالى قد وهب العلماء أخص صفاته وهي العلم، فهم واسطة بين المولىﷻ وبين خلقه في تقريبهم إليه، وسياقتهم إلى جنة المأوى، ويستدل الغزالي على أهمية التعليم أيضا بأدلة عقلية، مفادها أن العلم هو الموصل إلى السعادة الأبدية، وأنه أفضل الأشياء، باعتباره وسيلة تقرب الإنسان من الله تعالى، وفي هذا يقول الغزالي:« وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية...لن يتوصل إليهما إلا بالعلم والعمل... فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم»[2]. فهو إذا أفضل الأعمال، كيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء أيضا بشرف ثمرته، هذا في الآخرة، أما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك، ولزوم الاحترام، لكن العزلة قد تكون آفة دون التعليم والتعلم.

وتشريفا للعلم دائما فقد أورد "الغزالي" في كتابه "إحياء علوم الدين" واجبات المعلم والشروط التي ينبغي على المتعلم أن يأخذ بها:

أولا: واجبات المعلم:

1_ الشفقة على المتعلمين، وأن يجريهم مجرى بنيه.

1_ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين،ج1 ، ص75.

2_ المصدر نفسه، ص75.

2- ألا يطلب على العلم أجرا، ولا يقصد جزاء ولا شكورا

3_ألا يدع من نصح المتعلم شيئا، وأن ينبه أن الغرض من طلب العلوم القرب من الله دون الرياسة والمنافسة والمباهاة.

4_ألا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه، كمعلم اللغة إذ عادته تقبيح علم الفقه مثلا.

5_أن يقتصر المتعلم على قدر فهمه، فلا يلقي إليه ما يبلغه عقله.

6_إن المتعلم قاصر ينبغي أن يلقي إليه الجلي اللائق به من العلوم.

7_ أن يكون المعلم عاملا بعمله، فلا يكذب فعله قوله.

ثانيا: الشروط التي ينبغي أن يأخذ بها المتعلم:

1_ تقديم طهارة القلب على رذائل الأخلاق، إذ لا تصلح عبادة القلب إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق.

2_ أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الأهل والوطن.

3_ ألا يتكبر على المعلم، ولا يكون فظا معه.

4_ أن يحذر الخوض في العلم ويقدمه على الإصغاء.

5_ يجب عليه النظر في جميع فنون العلم المحمود.

6_ يجب ألا يدخل في فنون العلم دفعة واحدة بل يراعي الترتيب ويبدأ بالأهم.

7_ألا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله.

8_ أن يعرف السبب الذي به يدرك الشرف في العلوم، فإن ثمرة علم الطب الحياة الدنيوية وثمرة الدين الحياة الأخرى، فيكون علم الدين أشرف.

9_ أن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضائل، وفي المال الذي يقرب من الله ﷻ.

10_ أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد، كما يؤثر الرفيع القريب على البعيد، والمهم على غيره[1].

ولقد قسم الغزالي العلوم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة[2]، علم المعاملة. وهي التي كُلِّفَ العبد العاقل البالغ العمل بها وهي ثلاث: اعتقاد وفعل وترك[3]. والعلم هو معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات الله تعالى.

يقول "الغزالي":« اعلم أن العلم على قسمين: أحدهما شرعي، والآخر عقلي، وأكثر العلوم الشرعية عقلية عند عالمها، وأكثر العلوم العقلية شرعية عند عارفها»[1].

1_ أبو حامد الغزالي إحياء علوم الدين، ص ص 48- 50.

2_ **المكاشفة**: أو المعرفة الصوفية، هو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من الصفات المذمومة، وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل بأسمائها فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة، فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات التامات وبأفعاله. أنظر: أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج1، ص38.

وينقسم هذا العلم إلى ثلاثة أقسام: **التعلم**: ويختص به العلماء. – **الإلهام**: ويختص به الأولياء والأصفياء.– **الوحي**: ويختص به الأنبياء. أنظر: أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج3، ص ص 18- 19.

والكشف بهذا المعنى يعد من طرق المعرفة حسب الغزالي، حيث أنه يثبت ثلاثة أنواع: – معرفة حسية: تدرك بها المحسوسات، وقد تفيد العلم اليقيني.– معرفة عقلية: تدرك بها المعقولات، وتكون عن طريق العقل وقد تفيد اليقين، إذا اقترنت بالدليل البرهاني. – معرفة إشراقية: يدرك بها العلم اليقيني ،بحيث لا يبقى شك أو ريب. أنظر: المصدر نفسه، ص84.

3 _ محمد عثمان رحمه: منهج الغزالي في العلم والمعرفة، ص4.

فالعلوم الشرعية عقلية لأنها توافق صريح العقل والشرع لم يخاطب إلا العقلاء، وكذلك العلوم العقلية فإن أكثرها شرعية، لأنها مما ينفع الإنسان في دنياه، والشرع يحث على إعمار الدنيا وإثابة من يقوم بواجب العمل فيها قاصدا وجه الله تعالى ولهذا القصد قال "عند عارفها"[2] وبعد تقسيمه العلم إلى شرعي وعقلي، أخذ في تفصيل أقسامهما، فبدأ بالشرعي وقسمه إلى قسمين:

ـ **الأول:** في الأصول، وهو علم التوحيد.

ـ **والآخر:** علم الفروع، وهو علم خاص بالعباد ومعاملاتهم، ويخضع للاجتهاد.

والعلم الشرعي إما أن يكون علميا أو عمليا، وعلم الأصول هو العلمي«لأن علم الأصول ثابت ولا يتغير، ومعرفته لم تأت بالاكتساب ولكن بخبر السماء"الوحي"، فصدقه الناس واعتقدوا فيه، فلا سبيل فيه إلى اجتهاد أو تغيير، لذلك تظل عقيدة الإسلام ثابتة لا يطرأ عليها تغيير ولا تبديل ».[3]

أما العلم العملي "علم الفروع" فهو فرعيات تتعلق بحقوق العباد، والاجتهاد فيها وارد فيما يتحمله النص. وسمي علم الفروع عمليا لأنه هو فقه الحياة الذي يتعلق بحركتها المتجددة، وظروفها المتغيرة، التي تتطلب العمل الدؤوب.

فعلم الفروع يتجدد مع الحياة محتفظا بأصوله، ومسايرا لحركتها باستيعاب تام، دون أن يؤدي ذلك إلى تحليل حرام أو تحريم حلال. فحتى أركان العبادات التي هي حق

---

1 ـ أبو حامد الغزالي: الرسالة اللدنية ، ص99.

2ـ محمد عثمان رحمة: منهج الغزالي في العلم والمعرفة، ص4.

3ـ أبو حامد الغزالي: الرسالة اللدنية، ص ص 108- 110.

الله تعالى وتصنف من ضمن علم الفروع فهي عملية، لأن الإنسان يزاولها بجوارحه، وهي التي تكسب الحياة طمأنينة ويقينا.

وبعد أن فرغ الغزالي من أقسام العلم الشرعي تناول بالتقسيم مراتب العلم العقلي، حيث قسمه إلى ثلاثة مراتب **الأولى:** العلم الرياضي، **والثانية:** العلم الطبيعي، والمرتبة **الثالثة:** النظر في الوجود وتقسيمه إلى الواجب والممكن[1].

ويستطرد في تقسيمه للعلم فيقول:« السماء"الوحي"، فصدقه الناس واعتقدوا فيه، فلا سبيل فيه إلى اجتهاد أو تغيير، العلم ينقسم إلى أولي، وإلى مطلوب. فالمطلوب من المعرفة لا يقتنص إلا بالجد، والمطلوب من العلم الذي يتطرق إليه التصديق أو التكذيب لا يقتنص إلا بالحجة والبرهان وهو القياس»[2]. ويتابع أن العلم ينقسم إلى أولي كالضروريات وإلى مطلوب كالنظريات[3].

العلم المحمود والعلم المذموم: قسم الغزالي العلوم التي ليست بشرعية إلى ثلاثة أقسام:

أ_ قسم مذموم، قليله وكثيره: كالسحر والطلمسات، فهو مذموم إما لأنه ضرر كله، وإما لأن ما فيه من فامن فائدة _ مظنونة_ يغلبه ما فيه من ضرر متيقن.

ب_ قسم محمود قليله وكثيره: فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب، وقد يكون فرض كفاية وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة. أما

1_ أبو حامد الغزالي: الرسالة اللدنية، ص ص110- 115.

2_ أبو حامد الغزالي: محك النظر في المنطق، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د_ط)، (د_ ت)، ص 203.

3_ أبو حامد الغزالي: المستصفى في علم الأصول، ص11.

فرض الكفاية فهو علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا مثل: الطب والحساب وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين[1].

ج _ **قسم لا يحمد منه إلا قدر الحاجة:** وهو فروض الكفايات، ويبينها "الغزالي" في توصية عملية السالك، حيث يقول:« فابتدئ بكتاب الله تعالى، ثم بسنة رسول ﷺ..الخ، وهكذا إلى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت، ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طلبا للاستقصاء، فإن العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات، ليست مطلوبة ويستكثر منه، فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به، ومن غريبة وعلى غريب القرآن وغريب الحديث، ودع التعمق فيه»[2]. وبعد هذه التوصيات العملية، يلخص إلى أن في طلب كل علم "اقتصارا" و"اقتصادا" و"استقصاء"، وهي مراحل يلزم التحلي فيها بالاقتصاد والتوسط، والبعد عن الاقتصار.

وأسباب ذم العلوم عند الغزالي ثلاثة: إذ أن العلم لا يذم لعينه وإنما يذم لأحد الأسباب الثلاثة : **الأول** أن يكون مؤديا إلى الضرر إما لصاحبه أو لغيره، كما يذم علم السحر والطلمسات وهو حق، إذ شهد القرآن له. **والثاني** أن يكون مضرا لصاحبه وفي غالب الأمر، كعلم النجوم. **والثالث** الخوض في علم لايستفيد الخائض فيه فائدة علم، فهو مذموم حقه كتعلم العلوم جليلها قبل جليها[3].أي أن العلم في أصله غير مذموم، لكن هناك أسباب تجعله يذم، وهي أنه قد يضر بصاحبه أو بغيره

1 _ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج1، ص16.

2 _ المصدر نفسه، ص40.

3_ المصدر نفسه، ص 29.

أولا يستفيد منه طالبه شيئا، وعليه فلا فائدة من تعلم العلم الجليل(الكلي أو المعقد) قبل العلم الجلي(الواضح أو البسيط).

غير أن الكثير من العلماء ذهبوا إلى القول بأن الغزالي هدم العلم، وهو المسؤول عن تخلف المسلمين علميا حتى اليوم، وحجتهم في ذلك أن من رفع الأسباب فقد رفع العقل الذي يعتبر مصدر العلم، وهذا يتنافى مع المنطق، فالمنطق يقول بعكس ذلك، وأن المعرفة بالمسببات لا تكون ولا تكتمل إلا بمعرفة أسبابها، ودفع الأسباب مبطل للعلم.

المبحث الثالث: علاقة العقل بالتفكر والتفلسف:

إذا كان الوصول إلى اليقين غاية من غايات الفلسفة، والبحث عن الحقيقة ينتهي إلى اليقين فما مدى ارتباط العقل والفكر بالفلسفة؟

لقد عرفت الفلسفة على لسان قوم بأنها العلم بحقائق الأشياء.. كما عرفت أيضا بأنها صيرورة الإنسان عالما عقليا مضاهيا للعالم العيني، والمقصود من العالم العقلي هو صورة العالم المعقول للكلية الحاصلة لدى كل قوة[1].

وقد كان الغزالي متعطشا لحب المعرفة والاطلاع على حقائق الأمور يقول "الغزالي":« وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديني من أول أمري،

1 _ أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، تعليق: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 2001، ص1204.

وريعان عمري، غريزة من الله، وفطرة وضعها الله في جبلتي، لا باختياري وحيلتي، حتى انحطت رابطة التقليد، وانكسرت عني العقائد الموروثة»[1].

بمعنى أن "الغزالي" كان مقلدا لأسلافه من حيث المعتقدات والأديان والمعارف والعادات دون تفكير، وهذه المرحلة عاشها الغزالي في أول حياته ولكنه شعر بعدها بعدم الاقتناع، فراح يبحث عن شيء آخر يجد فيه ضالته، فكان يرى الناس أديانا وملا ، تباينت الطرق والبحر عميق، غرق فيه الأكثرون وما نجا منه إلا الأقلون وقد تزعم كل فريق أنه على شيء[2]. لهذا يقول: « ثم فتشت عن علومي، فوجدت نفسي عاطلا عن علم موصوف بهذه الصفة، إلا في الحسيات والضروريات، فقلت: الآن بعد حصول اليأس لا مطمع في اقتباس المتيقنات إلا من الجليات، وهي الحسيات والضروريات، فلا بد من إحكامه»[3]. أي أن الغزالي بلغ مرحلة الشك.

« ولما كفاني الله مؤونة هذا المرض ـ بفضله وسعة وجوده ـ انحصرت أصناف الطالبين عندي في أربع فرق:

ـ **المتكلمون:** وهم يدعون أنهم أهل الرأي والنظر.

ـ **والباطنية:** وهم يدعون أنهم أصحاب التعليم المخصوصون بالاقتباس من الإمام القائم المعصوم.

ـ **والفلاسفة:** وهم يدعون أنهم أصحاب المنطق والبرهان.

1_ أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، ص7.

2_ أبو بكر أبو بكر عبد الرزاق: مع الغزالي في منقذه من الضلال،الدار القومية للطباعة والنشر، ط2، (د- ط)، (د- ت) ، ص73.

3 _ أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، ص8.

ـ **والصوفية:** وهم يدعون أنهم خواص الحضرة، وأهل المشاهدة والمكاشفة»[1].فبعد ما أمن الله على الغزالي بحسن الفهم أدرك أن الحقيقة لا تخرج عن هذه الأصناف الأربعة التي ذكرها ويعرب على ذلك قائلا: « فقلت في نفسي: الحق لا يعدو هذه الأصناف الأربعة، فهؤلاء هم السالكون سبل طلب العلم»[2]. ولكنه لن يعطي رأيا في إحدى هذه الطرق الأربع حتى يدرس مبادئها، ويلم بعقائدها، فإذا أبدى الغزالي رأيه أبداه عن بينة، وإذا اقتنع فعن حجة وبرهان، لا تقليد أو إتباعا[3].

وقد انطلق "الغزالي" باحثا عن إجابات للتساؤلات التي تعج بها نفسه فيقول: «فانتدبت لسلوك هذه الطرق، واستقصاء ما عند هذه الفرق مبتدئا بعلم الكلام، ومثنيا بطرق الفلسفة، ومثلثا بتعليمات الباطنية، ومربعا بطريق الصوفية»[4]. سلك الغزالي منحى هذه الفرق وكانت انطلاقته من علم الكلام.

فابتدأ بعلم الكلام قراءة وتدريسا ثم انتهى إلى أنه علم لا يهدي إلى الحق المجرد[5]. يقول في هذا الشأن: « وصنفت فيها ما أردت أن أصنف فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودي، وإنما مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها من تشويش أهل البدعة، فقد ألقى الله تعالى على عباده على لسان رسوله عقيدة هي الحق، فيها صلاح دينهم ودنياهم، كما نطق بمعرفته القرآن والأخبار، ثم ألقى الشيطان وساوس المبتدعة أمورا مخالفة للسنة فلهجوا بها وكادوا يشوشون عقيدة

1_ أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، ص 10.

2_ المصدر نفسه، ص11.

3_ أبو بكر أبو بكر عبد الرزاق: مع الغزالي في منقذه من الضلال ، ص96.

4_ أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، ص12.

5_ محمد إبراهيم الفيتومي: الإمام الغزالي وعلاقة اليقين بالعقل، دار الفكر العربي، (د– ط)، (د– ت)، ص119.

الحق على أهلها»[1]. إن الغزالي لا يختلف مقصوده عن مقصود علم الكلام، بل هو غير كاف به، إذ يريد غير ما أراد المتكلمون[2].

وهذا ما يفسر الشك الذي انتاب "الغزالي" عندما رأى الاختلافات الكثيرة بين الفرق الدينية والفلسفية والمذهبية. « فلم يكن علم الكلام في حقي كافيا ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافيا»[3]. وهذا يدل على قوة التفكير لدى الغزالي، إذ يتحدث عنها واصفا إياها بأحد قوى النفس إلى جانب قوة الشهوة، وقوة الغضب، ويرى أن العقل مركوز في هذه القوة ـ أي قوة التفكير ـ ويقول حول هذا الأمر: «ومهما هذبت قوة التفكر وأصلحت كما ينبغي حصلت بها الحكمة التي تحدث الله عنها». حيث قال تعالى : ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوْتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[4]. وثمرتها القدرة على التفريق بين الحق والباطل في الاعتقادات، وبين الصدق والكذب في المقال، وبين الجميل والقبيح في الأفعال.

فالمتكلمون ـ حسب الغزالي ـ اعتمدوا على مقدمات تسلموها من خصومهم، اضطرتهم إلى تسلمها، إما التقليد، أو الإجماع الأمة، أو مجرد القبول من القرآن والأخبار[5]. لذلك يرى الغزالي أن أكثر الأمور التي خاضوا فيها كانت لاستخراج تناقضات الخصوم.

1 . أبو بكر أبو بكر عبد الرزاق: مع الغزالي في منقذ من الضلال، ص101.
2 . المصدر نفسه، ص14.
3 . المصدر نفسه، ص20.
4 _ سورة البقرة، الآية269.
5 _ أبو بكر أبو بكر عبد الرزاق: مع الغزالي في منقذه من الضلال، ص102.

فعلم الكلام كان يقوم على التقليد، أو الإجماع، أومجرد القبول من القرآن والإخبار حسب الغزالي، حيث يقول: « وأما منفعته فقد يظن أن فائدته: كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات وليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف، ولعل التخطيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف، وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوى ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا»[1]. فعلم الكلام لم يكن شافيا وكافيا لتساؤلات الغزالي لذلك أخذ يبحث عن وسيلة أخرى للمعرفة اليقينية.

دأب "الغزالي" في بحثه عن اليقين، فحدد مفهومه الذي مطلوبه العلم بحقائق الأمور فلابد من طلب حقيقة العلم[2]، فيقول:« إن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب، لا يقارنه إمكان الغلط والوهم، لا يتسع القلب لتقدير ذلك الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنا لليقين مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه ـ مثلا من يقلب الحجر ذهبا والعصا ثعبانا لم يورث ذلك شكا وإنكارا، فإني إذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة، فلو قال لي قائل لا بل الثلاثة أكثر بدليل أني أقلب هذه العصا ثعبانا وقلبها وشاهدت ذلك منه لم أشك ـ بسببه في معرفتي ولم يحصل لي منه إلا التعجب من كيفية قدرتي عليه»[3].

أراد "الغزالي" أن تكون المعرفة اليقينية لا شك فيها، أي أن الحقيقة التي يطلبها ليست نسبية، إنما يطلب حقيقة فوق الزمان والمكان، حتى خيل إلي أنه

1. أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج1، ص73.
2 _ محمد إبراهيم الفيتومي: الإمام الغزالي وعلاقة اليقين بالعقل، ص96.
3_ أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، ص10.

يطلب الله، لأن الحقيقة التي ينشدها الغزالي هي ما يود الجميع طلبها، وهي في نفس الوقت ما يعجز عنها[1].

لهذا أردف "الغزالي" بدراسة الفلسفة عله يجد فيها ضالته المنشودة ألا وهي الحقيقة فقال:« ثم إني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام بعلم الفلسفة، وعلمت يقينا أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم تساوى في أعملهم في ذلك العلم، ثم يزيد عليه ويجاوزه درجته: فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة، وإذ ذاك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساده حقا »[2]. ويقول:« فشمرت على ساق الجد في تحصيل ذلك العلم من الكتب بمجرد المطالعة من غير استعانة بأستاذ ومعلم فأقبلت على ذلك في أوقات فراغي»[3].

ويقول: « فأطلعني الله سبحانه وتعالى بمجرد المطالعة في الأوقات المختلسة على منتهى علومهم في أقل من سنتين، ثم لم أزل أواظب على التفكر فيه بعد فهمه قريبا من سنة، وأعاوده وأتفقد غوائله وأغواره، حتى اطلعت على ما فيه من خداع وتلبيس، وتحقيق وتخييل اطلاعا لم أشك فيه»[4]. بمعنى أن "الغزالي" قضى قرابة سنة يواظب فيها على التفكر في هذا العلم ـ أي يقصد الفلسفة ـ وذلك بعد أن فهمه، أخذ يعاوده، ويردده ليكتشف ما فيه من خداع وتلبيس متخليا في ذلك عن نهج الشك.

1 ـ محمد إبراهيم الفيتومي: الإمام الغزالي وعلاقة اليقين بالعقل، ص97.

2 ـ أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، ص8.

3 ـ المصدر نفسه، ص7.

4 ـ المصدر نفسه ، ص7.

واصل "الغزالي" حديثه عن الفلسفة قائلا:« وما يذم منها، وما لا يذم، وما يكفر، وما لا يكفر، وما يبدع فيه، وما لا يبدع، وبيان ما سرقوه من أهل الكلام ومزجوه بكلامهم لترويج باطلهم في درج ذلك، وكيفية حصول نفرة النفوس من ذلك الحق، وكيفية استخلاص صرف حقائق الحق الخالص والبهرج»[1]. يبين "الغزالي" في هذا النص أقسام الفلاسفة.

أقسام الفلاسفة عند الغزالي:

أما عن أقسام الفلاسفة عند الغزالي:« اعلم أنهم على كثرة فرقهم، واختلاف مذاهبهم، ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: الدهريون، والطبيعيون، والإلهيون.

- **الصنف الأول:** الدهريون: وهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر، العالم القادر، وزعموا أن العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه، وهؤلاء هم الزنادقة.
- **الصنف الثاني:** الطبيعيون: وهم قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة، وعن عجائب الحيوان والنبات، فرأوا فيها من عجائب صنع الله تعالى وبدائع حكمته ما اضطروا معه إلى الاعتراف بفاطر.
- **الصنف الثالث:** الإلهيون: وهم المتأخرون منهم مثل: سقراط، وأفلاطون»[2].

أقسام علوم الفلسفة :

تنقسم علومهم حسب الغزالي إلى ستة أقسام: العلم الطبيعي، العلم الرياضي، العلم الإلهي، علم المنطقيات، علم السياسيات، علم الأخلاق.

1_ أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال ، ص14.

2_ المصدر نفسه ، ص 15.

أولا: العلم الطبيعي: موضوعه أجسام العالم من حيث أنها وقعت في الحركة والسكون والتغير[1]. كالكواكب، والسماوات ، والماء، والهواء، والتراب والنار، والحيوان، والنبات، والمعادن. وفروعه: الطب، والطلمسات، والسحر،..وغيره.

ثانيا: العلم الرياضي: فموضوعه بالجملة الكمية وبالتفصيل المقدار والعدد كعلم الهندسة، والحساب، والجبر.

ثالثا: العلم الإلهي: فموضوعه أعم الأمور وهو الوجود المطلق والمطلوب فيه لواحق لذاته من حيث أنه وجود فقط[2].

رابعا: علم المنطقيات:فلا يتعلق شيء منها بالدين نفيا وإثباتا، بل هو نظر في طرق الأدلة والمقاييس.

خامسا: علم السياسيات: فجميع كلامهم راجع إلى الحكم المصلحية المتعلقة بالأمور الدنيوية والإيالة[3] السلطانية.

سادسا: العلم الخلقي: وهم المتألهون المثابرون على ذكر اللهﷻ، على مخالفة

الهوى وسلوك الطريق إلى الله عز وجل بالإعراض عن ملاذ الدنيا[4].

1_ أبو حامد الغزالي: مقاصد الفلاسفة، ص78.

2_ المصدر نفسه، ص78.

3_ الإيالة : أي الولاية والحكم. أنظر:أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، ص23.

4_ أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال ، ص 23.

يمكن القول أن "الغزالي" لم يحرم ويهاجم الفلسفة بكل فروعها، بل على العكس فقد أدرك أن المنطق والرياضيات والطبيعيات والأخلاق والسياسة باعتبارها فرع من فروع الفلسفة، إنما فروع لا غبار عليها، بل حض المسلم على أن يقرأها ويتعلم منها ويأخذ من علمائها، وهو نفسه قد استفاد منها جميعا في فلسفته الدينية، وعلى سبيل المثال فقد أخذ من المنطق كثيرا في دراسة علم أصول الفقه، وكذلك استفاد من الفلسفة الطبيعية والأخلاقية والسياسية، وغيرها في بناء فلسفته.

لكن الحقل الذي وجه إليه "الغزالي" نقده هو الإلهيات أو الجانب الإلهي، وهذا ما هو واضح من خلال كتابيه "تهافت الفلاسفة" و"مقاصد الفلاسفة"، فقد بين أغاليط الفلاسفة، وحصر هذه الأغاليط في عشرين مسألة، حيث كفرهم في ثلاث مسائل، والمسائل التي كفر فيها الغزالي الفلاسفة هي:

ـ إنكارهم بعث الأجساد: فقد كفر الغزالي الفلاسفة في هذه المسألة باعتبارها مخالفة لما جاء به الشرع من أن الإنسان يحشر بروحه وبدنه.

ـ قصور علم الله على الكليات دون الجزئيات: فالله برأي الفلاسفة يعلم الأشياء على نحو كلي ولا يعلم جزئيات الأشياء، لأن علمه بها يؤدي إلى تغير الذات الإلهية التي هي ثابتة وبعيدة عن التغير والتبدل، فقد كفرهم الغزالي بهذه المسألة، فالله يعلم كل الأشياء، ظاهرها وباطنها، صغيرها وكبيرها، لقوله ﷻ: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾[1].

1 ـ سورة يونس: الآية 61.

ـ قولهم بقدم العالم وأزليته: حيث ذهب الفلاسفة إلى أن العالم قديم أزلي متأثرين "بأرسطو" في ذلك، لكنهم حاولوا التوفيق بين قولهم هذا وبين الشرع وما صرح به ـ أي الشرع ـ من أن الله خالق العالم فقالوا بنظرية الفيض أي صدور العالم عن الله، لهذا رفض "الغزالي" هذا الرأي مقررا أن العالم حادث ومخلوق من قبل الله، بمعنى أنه لا وجود لعالم قبل خلقه واعتباره قديم قدم العالم.

وقد اعتمد "الغزالي" في نقده للفلاسفة على مرجعيات منها اعتماده على معطى الشريعة وتطابق الحدود معها، فما دام العقل ضروري ومهم في الاستدلالات المنطقية والرياضية كذلك الشرع لاغنى عنه في البحث عن الحقيقة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى لقد وجد "الغزالي" أن الفلسفة لا تفي بكمال الغرض، أليست الفلسفة جل اعتمادها على العقل؟ والغزالي يرى أن العقل ليس مستقلا بالإحاطة بجميع المطالب ولا كاشفا للغطاء عن جميع المعضلات[1]. وهذا ما أدى بالغزالي إلى لاستكمال ما هو باحث عنه لإيجاد ضالته..

المبحث الرابع: أهمية العقل في فهم مقاصد الشريعة:

لاحظ "الغزالي" ما آل إليه التعامل مع القرآن الكريم في عصره، وما قبله من العصور، من حصر معانيه في ظواهر التفسير الملقاة بالنقل، أو المجتهد فيها بالرأي، والتوقف عندها، وعدم الغوص في حقائقه الكبرى التي تشير إليها مبانيه وظواهره[2]، لهذا بحث الغزالي عن كيفية فهم حقائق الشريعة مستعملا العقل سبيلا

1_ أبو بكر أبو بكر عبد الرزاق: مع الغزالي في منقذه من الضلال، ص135.

2 _ نور الدين أبو لحية: الإصلاح الاجتماعي عند الغزالي، ص92.

لتفسيرها. ومن هنا يمكن التساؤل هل للعقل دور في فهم الشريعة في نظر الغزالي؟ أو ما هي أهمية العقل في فهم النقل عند الغزالي؟

يعرف الدين بأنه كلمة لاتينية (religio) وتعني الإحساس المصحوب بخوف وتأنيب للضمير بواجب ما تجاه الآلهة. كما يعني أيضا العادة التي تعتبر ميزة إنسانية بحتة تخص الإنسان دون غيره من المخلوقات، هذا لأن الناس غالبا لا يعيشون بدون دين سواء كان وضعيا أو سماويا[1].

أما معناه الاصطلاحي فهو وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسل[2]، كما عبر عنه "دراز" بقوله: « الدين وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك»[3].

لقد دعا "الغزالي" إلى تعامل جديد مع القرآن الكريم، يقوم على تدبر آياته واستنباط المعارف الإيمانية منها، وإلى رعاية مقاصده وعدم الانشغال عنها بالدراسات المتعلقة به، باعتباره منبع العلوم بظاهره وباطنه، وتصريحاته وإشاراته[4]. وهذا التعامل الجديد القائم على التدبر لا يكون إلا بالعقل الذي يعتبر أساسا للتأمل والتفكر.

تحدث "الغزالي" عن قضية العقل والنقل في العديد من مؤلفاته: "كمعارج القدس في مدارج معرفة النفس" و"إحياء علوم الدين" وغيرهما.

---

1 _ محمد عثمان الخشت: مدخل إلى فلسفة الدين، دار قباء، القاهرة، ط1،2001، ص 11.12.

2 _. المرجع نفسه ، ص14

3_. محمد عبد الله دراز:الدين،دار القلم، الكويت، (د_ ط) (د_ ت)، ص33

4 _ نور الدين أبو لحية: الإصلاح الاجتماعي عند أبي حامد الغزالي، ص93.

واتخذ منها موقفا مطابقا لمذهب الأشعرية وهو مذهب أهل السنة والجماعة كما كان يرى منهج الأشاعرة في هذه المسألة هو التوسط بين العقل والشرع وعدم الوقوف عند أحدهما[1].

ويؤكد الغزالي: « إن العقل والنقل مترابطان، العقل لن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لم يتبين إلا بالعقل، لم يظهر به شيء وصار ضائعا ضياع الشعاع عند فقدان البصر، والعقل إذا فقد الشرع عجز عن الكثير من الأمور عجز العين عند فقد النور»[2]. بمعنى أن العقل كالبصر والشرع كالشعاع ولن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر. وهذا ما يؤكده قوله تعالى :﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِيْنٌ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنْ اِتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾[3].

ويقول أيضا : « فالداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل من القرآن والسنة مغرور، فإياك أن تكون مع أحد الفريقين وكن جامعا بين الأصلين فإن العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كالأدوية»[4].

وهنا إشارة لضرورة الجمع بين العقل والنقل.

1_ جلال محمد موسى، نشأة الأشعرية وتطورها، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1992، ص430.

2_ أبو حامد الغزالي، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ص ص57.58.

3 _ سورة المائدة: الآية 15.

4 _ أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج2، ص ص 15_16.

ويذهب "الغزالي" إلى: « أن الحاكم هو الله، وأن العقل ليس من شأنه التحسين أوالتقبيح، فلا حكم للأفعال قبل ورود السمع »[1]. فالعقل بالرغم من أهميته إلا أنه محكوم بالقوانين الشرعية الإلهية. لكي لا يفهم من القرآن الكريم أمرا يخالف العقل أو النصوص الشرعية أو يحمل ألفاظ القرآن مالا تحتمل[2]. «فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل من صاحب الشرع، ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ، وسقط به منفعة كلام الله تعالى، وكلام رسوله ﷺ»[3]. ويضيف: « وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتبديلها في رأيهم»[4]. وهو يشبه من يستجير هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مراده بالألفاظ، ويزعم أن قصده منها دعوة الخلق إلى الخالق بمن يستجير وضع الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو في نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع، فذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد[5] المفهوم من قوله ﷺ:(من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)6. بل إنه يرى أن الشر في تأويل هذه الألفاظ أعظم خطرا لأنها مذهبة للثقة في الألفاظ وقاطعة لطريق الاستفادة من القرآن الكريم[7].

1 _ أبو حامد الغزالي: المستصفى في علم الأصول، ص ص 55_56.

2_ نور الدين أبو لحية: الإصلاح الاجتماعي عند أبي حامد الغزالي، ص 99.

3_ أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين،ج1،ص73.

4_ المصدر نفسه، ص 73.

5_ نور الدين أبو لحية: الإصلاح الاجتماعي عند أبي حامد الغزالي، ص 99.

6_ البخاري :كتاب العلم، 200/1 رقم 1071.

7_ أبو حامد الغزالي: إحياء علو الدين، ج1، ص38.

كما يرى أيضا "الغزالي" في القرآن نصوصا تفيد غير معانيها الظاهرية كالآيات التي توهم أن ما للإنسان من الأعضاء والحواس لله تعالى، وأنه يتحرك وينتقل ويجلس على العرش لقوله تعالى: ﴿وَالرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[1].

فهذه النصوص لها معنى خفي لا يصل إليه إلا أهل المعرفة ـ أي الصوفية ـوأن موقف العامي منها هو التصديق بها مع الاعتراف بالعجز عن فهمها[2].

وهذا يدل على صعوبة التأويل وخطورته، إذ لا يستطيع ممارسته كل من أراد ذلك. وفي هذا يقول الغزالي: « ومعرفة ما يقبل التأويل وما لا يقبل ليس بالهين، بل لا يستقل به إلا الماهر الحاذق في علم اللغة، العارف بأصول اللغة، ثم بعادة العرب في الاستعمال في استعاراتها وتجاوزاتها ومناهجها في ضرب الأمثال»[3].

كما أن تغيير ظواهر النصوص يحتاج إلى توفر البرهان القاطع، خاصة في أصول العقائد المهمة.

وقد ضبط الغزالي قانونا للتأويل، تعرض فيه لمواقف الخائضين في هذه العملية ورأى أنهم أقسام خمسة:

ـ الأول: وقف عند ظاهر النص ومنع التأويل.

ـ الثاني: جعل العقل أصلا ولم يعتبر بالنقل، ولذلك أول كل ما لم يوافق عقله.

---

1 _ سورة طه: الآية 5.

2 _ محمد يوسف موسى: بين الفلسفة والدين في رأي ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط، دار صادر، بيروت، ط2، 1979، ص138.

3 _ أبو حامد الغزالي: فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، تحقيق: سليمان دنيا، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1961، ص ص191، 199.

ـ الثالث: جعل العقل هو الحكم والضابط لما يأتي به الشرع.

ـ الرابع: جعل النص أصلا والعقل تابع.

ـ الخامس: جعل كل من العقل والنقل أصلا وأنكر أن يكون بينهما تعارض حقيقي ـ وهو الذي ينتمي إليه الغزالي ـ ويعمل على الجمع بينهما، ويكف عن التأويل أحيانا إذا لم يجد الدليل القاطع لأن هناك أمور يعجز العقل عن كشف مرادها، لأن الحكم على مراد الله ورسوله بالظن والتخمين خطر[1].

وهكذا فإن الغزالي لا يميل إلى العقل كما يفعل المعتزلة والفلاسفة، ولا يتعسف في التأويل كما هي عادة بعض المتصوفين، ولا يقف عند ظاهر التأويل كما يفعل الحشوية[2] المقلدون وإنما يأخذ موقفا وسطا بين العقل والنقل. بحيث يقول: « وأنى يستتب الرشاد لمن يقنع بتقليد الأثر والخبر، وينكر مناهج البحث والنظر، أولا يعلم أنه لا مستند للشرع إلا قول سيد البشر، وبرهان العقل هو الذي عرف به صدقه فيما أخبر، وكيف يهتدي للصواب من اقتفى محض العقل واقتصر، وما استضاء بنور الشرع ولا استبصر»[3].

يمكن القول أن الغزالي كان يرغب في التوفيق بين العقل والشرع من جهة، ومن جهة أخرى وضع حدود على العقل وعلى التفكير، وجعلهما محصوران فقط في إثبات صحة وصدق النقل. فإذا خرج العقل عن هذا الإطار فإن صاحبه يقع في المحظور

1 ـ جلال محمد موسى: نشأة الأشعرية وتطورها، ص432.

2 ـ الحشوية : مصطلح عام له معان مختلفة، وقد أدى فيما يرى الشهرستاني إلى التشبيه في دوائر أهل الشيعة. أنظر: علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ط9، (د- ت)، ج2، ص 287.

3ـ أبو حامد الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، ص 63.

ويضل، وقد حصر الغزالي خاصية الفهم والبصيرة عند فئة صغيرة وهي الفئة التي كرمها الله بذلك.

خاتمة

خاتمة:

وفي الأخير واستنادا لما سبق ذكره يمكن استخلاص النتائج الآتية:

ـ لقد أولى "الغزالي" للعقل أهمية كبيرة في فكره، وهذا ما يفند الادعاءات والانتقادات الموجهة له بأنه قد تجاوز العقل وأبطل ثقته، بل إن الغزالي يعتمد على العقل كأحد وسائل الوصول إلى المعرفة اليقينية لذلك شرّف العقل ومجده، إذ يعتبره النور الذي يستضاء به في دروب الفكر، كما أن العقل في نظر الغزالي يعتبر جوهرا قائما بذاته، وأسماه بالنور، لكنه لم يعطي مفهوما واحدا وصريحا للعقل بل اختلف مفهوم العقل عنده بحسب الموضوعات والمؤلفات.

ـ اعتمد "الغزالي" منهجا يقوم على الشّك طريقا إلى اليقين، فآمن بالاجتهاد ورفض التقليد وأكد على حرية الرأي والنظر، كما أعطى للعقل قدرته على الاجتهاد الحر والحكم للوصول إلى يقين الحقيقة.

ـ بيّن "الغزالي" قيمة العقل ومقامه وقدرته في الوصول إلى المعرفة والتّعلم..وإثبات وجود الله. مستندا في ذلك إلى آيات من القرآن الكريم، وأحاديث من السنة النبوية الشّريفة، والتّي ساعدت في إبراز هذه المكانة العالية والمرموقة للعقل. لكن رغم المكانة التي منحها للعقل إلا أنه قد أقر بوجود حدود له خاصة فيما يتعلق بفهم بعض الظّواهر والأمور الغيبية.

ـ وقد فرق الغزالي بين العقل والدين (الشرع) حيث يرى أن هناك ما يعلم بدليل العقل دون النقل، وهناك ما يعلم بدليل العقل دون النقل، وما يعلم بهما معا.

ـ أدرك "الغزالي" بعمق واقع المجتمع الذي عاش فيه، فكان من أبرز أعلام المنطق والفلسفة الخالصة على الرغم من رده على الفلاسفة، فكان يقرأ للفلاسفة بوثاقة البراهين وصحة الآراء في فنون العلم إلا في الإلهيات، واستخدم المنطق لنصرة الدّين وحذر من استغلال الفلسفة لتضليل ذوي الاستعداد العقلي القاصر.

ـ إن أول ما هدف إليه الإمام "الغزالي" هو أن يقيم إيمانه على أسس ثابتة ليصبح قادرا على درك حقائق ما يؤمن به ومعرفته وهذا ما لاحظناه عند تدرج "الغزالي" في تحصيله للعلوم من نقده للباطنية وتجاوزه لعلم الكلام الفلسفة ووصوله للتصوف، فقد أخضع كباحث صادق عن معنى الحقيقة عمليات تفكيره وكل ما تعلمه من علم أو مر به من تجارب في حياته إلى أكثر الامتحانات دقة وصرامة.

– ويمكن القول أن الإمام "الغزالي" لم يستهدف من كل عمله أن يوجد مذهبا دينيا ولا نظاما فلسفيا لأنه يحسم هذا الأمر كون الإسلام هو المذهب الصحيح والنظام الوحيد في الحياة وفي التفكير. ويؤكد على هدفه المتمثل في الدفاع عن الإسلام في وجه الحركات الدينية والسياسية، وأن يحمي العامة من التّفرقة وراء الفرق الدينية، فيضعف إيمانهم بالدّين وتمسكهم بأوامره.

قائمة المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم.**

❖ **الحديث النبوي الشريف.**

❖ **أولا: قائمة المصادر**

1- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، مكتبة ومطبعة كرياطة فوترا، القاهرة،(د- ط)، (د- ت).

2_ أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، تحقيق: سعد كريم الفقى، دار ابن خلدون للنشر والتوزيع، الإسكندرية، (د- ط)، (د- ت).

3_ أبو حامد الغزالي: مشكاة الأنوار، المكتبة الملوكية، مصر، (د- ط)، 1901.

4_ أبو حامد الغزالي: المستصفى في علم الأصول،تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د- ط)،1992.

5_ أبو حامد الغزالي: معارج القدس في مدارج معرفة النفس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988.

6_ أبو حامد الغزالي : تهافت الفلاسفة، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ط8، (د- ت).

7_ أبو حامد الغزالي: معيار العلم، المطبعة العربية، القاهرة، (د- ط)، 1928.

8_ أبو حامد الغزالي: ميزان العمل، مطبعة كردستان، مصر،(د_ط)، 1328.

9_ أبو حامد الغزالي: محك النظر في المنطق، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د_ط)، (د_ت).

10_ أبو حامد الغزالي: فيصل التّفرقة بين الإسلام والزندقة، تح: سليمان دنيا، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1961.

11_أبو حامد الغزالي: الرسالة اللّدنية، شركة الطباعة الفنية، (د_ط)، (د_ت).

12- أبو حامد الغزالي، مجموعة الرسائل، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط1، (د_ت).

13_ أبو حامد الغزالي: القسطاس المستقيم، تحقيق: فيكتور شلحت، دار المشرق، بيروت، ط2، (د_ ت).

ثانيا: قائمة المراجع

14_ أبوبكر أبوبكر عبد الرزاق: مع الغزالي في منقذه من الضلال، الدار القومية للطباعة والنشر، ط2،(د_ ط)، (د_ت).

15_ أبو نصر الفرابي: رسالة في معاني العقل، تحقيق: الأب موريس بونج، دار الشرق، بيروت، (د_ط)، 1983.

16_ أنور الزعبي: مسألة المعرفة ومنهج البحث عند الغزالي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2000.

17_ جلال محمد موسى، نشأة الأشعرية وتطورها، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1992.

18_ رضا الصدر: الفلسفة العليا، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط1، 1986.

19_ سليمان دنيا: الحقيقة في نظر الغزالي، دار المعارف، مصر،(د_ط)، 1965.

20_ صالح أحمد الشّامي: الإمام الغزالي، دار القلم، دمشق، ط1، 1993.

21_ صبحي ريان: فلسفة التربية الإسلامية، الغزالي نموذجا، دار الكتب العلمية، ط1، 2017.

22_ محمد أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1976.

23_ محمد إبراهيم الفيتومي: الإمام الغزالي وعلاقة اليقين بالعقل، دار الفكر العربي، (د_ط)، (د_ت).

24_ محمد عبد الله دراز: الدين، دار القلم، الكويت، (د_ ط) (د_ت)، ص33.

25_ محمد عثمان الخشت: مدخل إلى فلسفلة الدين، دار قباء، القاهرة، ط1، 2011.

26_ محمد يوسف موسى: بين الفلسفة والدين في رأي ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط، دار صادر، بيروت، ط2، 1975.

27- عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، السعودية، ط2، 1992.

28_ علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ط9، (د- ت).

29 _ نور الدين أبو لحية: الإصلاح الاجتماعي عند أبي حامد الغزالي، دار الأنوار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2016.

❖ **ثالثا: الموسوعات:**

1_ إبراهيم مذكور: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، (د- ط)، 1983.

2_ ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (د- ط)، (د- ت).

3_ أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، تع: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 2001.

4_ اندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001.

5_ جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان،(د- ط)، 1972.

6_ عبد الرحمان بدوي: الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1984.

❖ **رابعا: المجلات والدوريات:**

7_ رحمة عثمان محمد: منهج الغزالي في العلم والمعرفة، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد السادس، 2005.

8 _ عبد العظيم ديب: العقل عند الإمام الغزالي، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قطر، العدد السادس ، 1988.

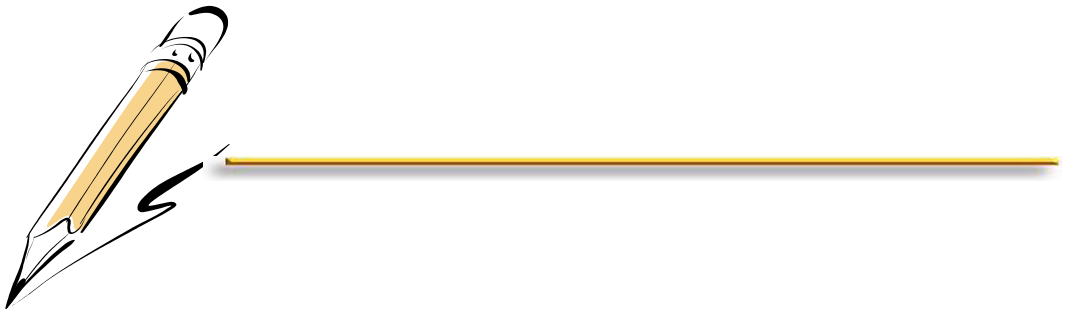

فهرس الآيات القرآنية

الآيـة	السورة	الصفحة
:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ -07-	الإسراء	أ
﴿وَسَخَرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَرُونَ﴾- 13-	الجاثية	أ
﴿الَّذِين يَذْكُرُونَ اللَّه قِيَامًا وَقُعُودًا عَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُون فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَك﴾ -191-	آل عمران	7
﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾-46-	الحج	17 و 41
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا لَعَلَكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ -02-	يوسف	18
﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾-28-	الروم	18
﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ -30-	الحجر	18

:﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ -190-	آل عمران	22
﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾-07-	الروم	7 و 24
﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ -30-	الروم	25
﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَا أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَا مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوْماً جَهُولاً﴾-72-	الأحزاب	27
﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾-30-	البقرة	38
﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾-43-	العنكبوت	41
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ أَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ -170-	البقرة	42
﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾-01-	العلق	45
﴿اللهُ وَلِيُّ الذِّينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ -257-	البقرة	47

:﴿وَاتَّقُوْا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾-282-	البقرة	47
﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدَى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ -20-	لقمان	48
﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوْتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾-269-	البقرة	59
﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾-61-	يونس	64
﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُوْرٌ وَكِتَابٌ مُبِيْنٌ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنْ اِتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾-15-	المائدة	67
﴿وَالرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اِسْتَوَى﴾-05-	طه	69

فهرس الأحاديث

النّبوية الشّريفة

الحـــديث	الراوي	الصفحة
قال النبيﷺ: (إن الله خلق آدم على صورته)	رواه مسلم	20
قال رسول الله ﷺ: (أول ما خلق الله العقل، فقال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال الله ﷻوعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم علي منك، بك آخذ، وبك أعطي، وبك أثيب، وبك أعاقب)	حديث ضعيف مختلف فيه	37 و 49
قال النبي ﷺ:(لا دين لمن لا عقل له)	الألباني	38
قال رسول الله ﷺ: (لا يعجبكم إسلام امرئ حتى تعرفوا عقله)	أخرجه الطبراني	38
قال ﷺ:(من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)	البخاري	68

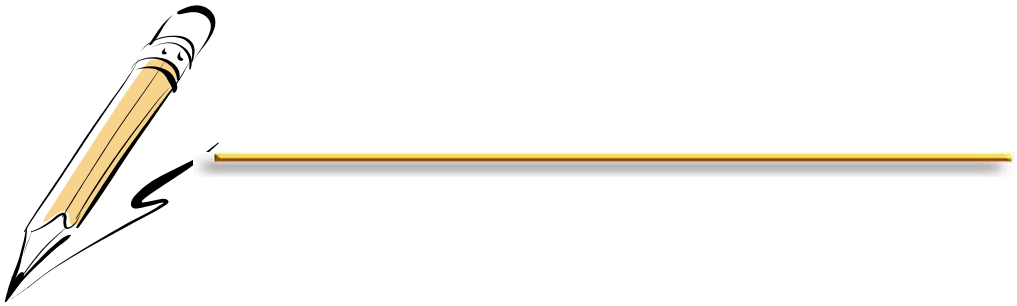

فهرس الأعلام

1 -ابن منظور .....ص8.
2 -الكندي.....ص8.
3 -الفرابي.....ص8.
4 -المحاسبي.....ص8.
5 -أرسطو طاليس.....ص9.
6 -الإمام علي رضي الله عنه.....ص32.
7 -سليمان دنيا.....ص43.
8 -سقراط.....ص62.
9 -أفلاطون.....ص62.
10 -دراز.....ص66.
11 -اندريه لالاند.....ص66.

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
شكر وتقدير.	
إهداء.	
مقدمة.....	أ
الفصل الأول: الغزالي والعقل	**6**
المبحث الأول: مفهوم العقل ومعانيه في فكر الغزالي.	**7**
المبحث الثاني: طبيعة المعرفة العقلية في نظر الغزالي.	**13**
المبحث الثالث: خصائص العقل وأحكامه عند الغزالي.	**19**
المبحث الرابع: أقسام العقل وأنواع العقول لدى الغزالي.	**28**
الفصل الثاني: الغزالي بين العقل، الفلسفة والدّين	**35**
المبحث الأول: تمجيد الغزالي للعقل.	**36**
المبحث الثاني: دور العقل في إحراز العلوم.	**44**
أولا: واجبات المعلم:	**50**
ثانيا: الشروط التي ينبغي أن يأخذ بها المتعلم:	**51**
المبحث الثالث: علاقة العقل بالتفكير والتفلسف.	**56**
المبحث الرابع: أهمية العقل في فهم مقاصد الشريعة الإسلامية.	**65**
خاتمة:	**72**
قائمة المصادر والمراجع.	**75**

فهرس الآيات القرآنية.	**81**
فهرس الآحاديث النبوية الشريفة.	**85**
فهرس الأعلام.	**87**
فهرس الموضوعات.	**89**

بسم الله الرحمن الرحيم